

محمد يوسف المقرئ

انقلاب القذافي الدور الإسرائيلي

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في الكويت

الإهداء

إلى روح المؤرخ الأستاذ مصطفى عبد الله بعيو الذي كان أول من نبّه في كتابه "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" إلى أطماع الصهاينة في ليبيا، وحذر الليبيين من أن تقع بلادهم فريسة لهذه الأطماع التي لا تعرف الحدود أو القيود.

تقديم

هذا الكتاب ليس تأريخاً لليهود في ليبيا وإن كان فيه بعض من هذا التاريخ. كما أنه لا يهدف إلى البحث في "المسألة اليهودية" في ليبيا وإن كان قد تناول بعض جوانب هذه المسألة، ولكنه يبحث بالدرجة الأساسية في إمكانية أن يكون لإسرائيل وحساباتها، التي نعتبر أنها كانت معلقة مع النظام الملكي الليبي، دور مباشر أو غير مباشر في انقلاب الأول من سبتمبر ١٩٦٩ بقيادة الملازم معمر بومنيار القذافي.

إن الكتاب يطرح تساؤلات أكثر مما يقدم إجابات، ولعل أهميته تتمثل في أنه نبّه إلى هذا "البعد الإسرائيلي" أمام من يتصدون لتحليل وتفسير انقلاب سبتمبر المشبوه.

شكرو عرفان

لا بد أن أنوه بالجهد الذي بذله الأخ يوسف بشير المجريسي في مراجعة الكتاب مراجعة نهائية وإعداد فهرس الأعلام للكتاب، ولمركز الدراسات الليبية وجهازها والمشرفين على إخراج الكتاب وطبعه فضل الصبر والدقة والأناة في وضع اللمسات الفنية الأخيرة وإعطاء الكتاب صورته الحالية.

وأظل في النهاية صاحب المسؤولية الكاملة عما يكون قد ورد به سهواً من أخطاء.

والله من وراء القصد وهو المستعان سبحانه.

مراجع الكتاب

(أ) المراجع العربية

- الأثرم، رجب عبد الحميد، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم (جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨).
- بعيو، مصطفى عبد الله، المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا (الدار العربية للكتاب، طرابلس/تونس، ١٩٧٥).
- بول، جورج، و د. بول دوغلاس، أمريكا وإسرائيل: علاقة حميمة، ترجمة محمد زكريا إسماعيل (مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٤).
- تيلور، جاك، أوراق الموساد المفقودة، ترجمة إلياس توفيق (دار نادر، أكسفورد، ١٩٩٢).
- جرين، ستيفن، الانحياز، ترجمة سهيل زكار (دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٥).
- الحسن، يوسف، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠).
- حكيم، سامي، حقيقة ليبيا (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨).
- حمادي، الطيب محمد، اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة (جامعة قاريونس، بنغازي، 1994).
- خدوري، مجيد، ليبيا الحديثة: دراسة في تطورها السياسي، ترجمة نقولا زيادة

- (دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦).
- دي كاندول، ئي. آ. ف.، الملك إدريس عاهل ليبيا: حياته وعصره (نشر خاص - محمد بن غلبون، مانشستر، ١٩٨٩).
- الرحال، أحمد مصطفى، سألتهم فتحدثوا: دراسة حول يهود ليبيا (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨).
- السبكي، آمال، استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية (١٩٤٣ - ١٩٥٢) (مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩١).
- السراج، مصطفى فوزي، ذكريات وخواطر مصطفى فوزي السراج، سلسلة السير والتراجم (٩) (مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥).
- سويكر، سليمان خطاب، تاريخ الجالية اليهودية في برقة تحت الاستعمار الإيطالي خلال الفترة ١٩١١-١٩٤٢ (جامعة قاريونس - فرع المرج، ٢٠٠٨).
- القلال، محمد أحمد، سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة ١٩٣٩-١٩٤٩ (جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٣).
- المغيربي، محمد بشير، وثائق جمعية عمر المختار: صفحة من تاريخ ليبيا (مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣).
- نوفل، كميل، عرب أمريكا: رهائن بائسة من إيزنهاور إلى فورد (دار النهار، بيروت، ٢٠٠٣).
- هالسيل، جريس، النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السمّاك (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٨٩).
- هيكل، محمد حسنين، حرب الثلاثين سنة - الانفجار ١٩٦٧ (مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠).
- ويست، نايجل، لعبة الاستخبارات الدولية: الصراع الخفي في عالم التجسس (دار الحمراء، بيروت، ١٩٩١).

(ب) المراجع الأجنبية

- Dorsin, Michael *The Bible Code* (Simon & Schuster, New York, 1988).
- De Felice, Renzo *Jews in an Arab Land: Libya, 1835- 1970*, Trans. from the Italian by Judith Roumani (University of Texas Press, Austin, 1985).
- Hammer, Armand and Lyndon Neil *Hammer* (Perigee Books, New York, 1988).
- Yergin, Daniel *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power* (Simon & Shuster, New York, 1991).

(ج) مقالات

- بن غلبون، محمد، هجرة اليهود من ليبيا كما وردت في الوثائق "الحياة" 21-23 /9 /1997.
- النويصري، رامز رمضان، تاريخ أم حوار؟ عندما تحدث يهود ليبيا "ميدل إيست أون لاين" سبتمبر 2008.

تاريخ ونبوءات توراتية

تلعب أحداث التاريخ اليهودي، كما تلعب النبوءات التوراتية الواردة في أسفار اليهود القديمة، دوراً بارزاً في تشكيل ضمير اليهود وذاكرتهم، وفي توجيه حركتهم وأفعالهم.^١

ويرتبط اسم "ليبيا" و"الليبيين" في الضمير اليهودي بكثير من أحداث "التاريخ اليهودي"، وبإحدى "النبوءات التوراتية" الخطيرة لديهم.

وتقول المصادر التاريخية^٢ إن ملوك مصر الذين خلفوا الإسكندر في حكم مصر بدءاً من بطليموس الأول سنة ٣٢٠ ق.م. استفادوا من مدن برقة الإغريقية، وقاموا بتشجيع أعداد كبيرة من يهود فلسطين على الاستيطان في برقة، وأصبح اليهود يشكلون عنصراً هاماً من عناصر سكان المدن المزدهرة فيها. وفي مدينة قورينا (شحات) عاش الكاتب اليهودي الشهير جاسون Jason الذي كتب مؤلفاً من خمسة كتب عن حروب "المكابيين".

١ ورد في إعلان إقامة دولة إسرائيل (وثيقة الاستقلال) المؤرخة في ١٤/٥/١٩٤٨: "... تكون دولة إسرائيل... مستندة إلى دعائم الحرية والعدل والسلام مستهدية بنبوءات أنبياء إسرائيل."

٢ راجع مصطفى عبد الله بعيو، "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" (الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٧٥). والطيب محمد حمادي، "اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمي والروماني في إقليم برقة" (جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٤)، ورجب عبد الحميد الأثرم، "محاضرات في تاريخ ليبيا القديم" (جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة ١٩٩٨).

وبمرور الزمن، وتحت حماية ملوك البطالسة لهم، تكاثر اليهود في برقة وازداد عددهم. وعلى الرغم من أن البطالسة لم يرفعوا يهود برقة إلى مرتبة مواطني المدن الإغريقية، فإنهم سمحوا لهم بأن يتمتعوا باستقلالهم القضائي وفق شريعتهم، وبجباية الضرائب المنصوص عليها في التوراة، كما سمحوا لهم بحرية العبادة، وإرسال هباتهم المالية إلى هيكلهم المقدس في مدينة القدس. وقد قابل "يهود برقة" هذه السياسة الودية من البطالسة بالتقرب إليهم، مما أثار حفيظة "إغريق برقة" الذين كانوا ينظرون إلى البطالسة نظرة المغتصب لبلادهم. (توعد البطالسة كل من يعتدي على اليهود بمصادرة أملاكه).

وتحدث المصادر ذاتها أنه بانتهاء حكم البطالسة أصبحت برقه جزءاً من أملاك الإمبراطورية الرومانية، وتغيرت معاملة اليهود في جميع أرجاء الإمبراطورية الجديدة. وعندما قام اليهود بثورتهم في مدينة "القدس" عام ٦٦ ميلادية، والتي شارك فيها بعض يهود قورينا الليبية "شحات" (فقد كانت لهم جالية تقيم في القدس) كان ردّ روما شديداً على تلك الثورة. وعندما سقطت القدس في عام (٧٠) ميلادية لجأ بعض اليهود إلى برقة هرباً من القدس ونجحوا في إثارة يهود قورينا ضدّ الحكم الروماني الذي تمكن من إفشال تلك الثورة، وقام بذبح حوالي (٣٠٠٠) يهودي منهم، مع مصادرة أملاكهم (كما تمكنت السلطات الرومانية من إلقاء القبض على زعيم المتمردين المدعو يوناتان وإرساله إلى روما حيث جرى إعدامه فيها).

كما تحدث هذه المصادر أنه عندما قامت ثورة اليهود الكبرى عام ١١٥ ميلادية وعمّت أرجاء الإمبراطورية الرومانية؛ كان يهود قورينا (شحات) أول من أشعل نارها (حيث بدأت بفتنة أشعلها اليهود ضد الإغريق من سكان البلاد)، وسرعان ما امتدت تلك الثورة إلى بقية مدن برقة كلها، وعمّت بقية أملاك الدولة الرومانية. وقام يهود قورينا بتنصيب أحد أبنائهم المسمى أندرياس Andreas أو لوكاس Lucas لقيادة الحركة، وقد نصب نفسه ملكاً على يهود برقة، وقام اليهود باستباحة مدينة قورينا والمناطق المجاورة

لها، وارتكبوا فيها أعمالاً بلا حدودٍ من الوحشية. (وتختلف المصادر حول عدد الذين أهلكهم اليهود من سكان البلاد من الإغريق والرومان، وتضع بعض المصادر هذا العدد في حدود (٢٢٠) ألف نسمة، وتتفق المصادر جميعها على أن اليهود عملوا على القضاء على سكان برقة الإغريق والهلينيين الذين كانوا يعيشون فيها).

كما تحدث المصادر التاريخية أن يهود برقة نجحوا في نشر ثورتهم فيما وراء حدود البلاد، وانتقلت عدوى ثورتهم إلى يهود جزيرة قبرص وإلى الإسكندرية، وزحف يهود برقة بزعامة ملكهم لوكاس إلى منطقة "البطنان" شرق برقة في الطريق إلى الإسكندرية عبر الصحراء الغربية، وقد أشاعوا الدمار والفساد في طريقهم حتى وصلوا إلى مشارف مدينة الإسكندرية، وساعدهم إخوانهم "يهود مصر" الذين اشتركوا في الثورة الرومانية في مصر.

غير أن "ثورة اليهود" لم تستمر لأكثر من ثلاث سنوات، إذ تمكن الإمبراطور الروماني (تراجان) بعد أن انتصر في حربه التي كان مشغولاً بها مع "مملكة بارنيا" (غربي بحر قزوين) من إرسال أحد قواده (ماركوس توربو Marcus Turbo) الذي نجح في القضاء عام (١١٧) على ثورة يهود برقة بعد أن أنزل بهم عقاباً صارماً. وتجمع المصادر على أن السلطات الرومانية قامت، من أجل القضاء على ثورات اليهود والبطش بهم وقطع خط الرجعة عليهم، بتحويل البلاد كلها إلى صحراء. ويقول المؤرخ البريطاني آلن ويس (Alan Wace) في تعليقه على "ثورة اليهود" وما سببته من دمار "إن برقة لم تسترد أبداً ما سببه الدمار الذي أحدثته لها ثورة اليهود الكبرى". أما المؤرخ اليهودي ناحوم سلوش، فيقول "إن الرومان قاموا بتخريب البلاد وحولوها إلى صحراء في سبيل القضاء على ثورة اليهود".

وتقول المصادر التاريخية إن من نجا من اليهود من الانتقام الروماني فرّ ولجأ إلى بعض القبائل الليبية في الدواخل واحتفى بها، وأسّسوا في جهة سرت مدينة اسمها "اليهودية" أو "تل اليهودية"، وقد أسهموا في إشعال

مقاومة الأهالي للحكم الروماني. وعندما جاء البيزنطيون في عهد الإمبراطور جستنيان لاسترجاع البلاد من قبائل الوندال الأوروبية أسرع اليهود من هذه الدواخل لمساعدة الوندال ضد البيزنطيين.

كما تتحدث المصادر أن اليهود نجحوا في تحويل بعض هذه القبائل إلى الديانة اليهودية. وقد قامت "الكاهنة الداهية" (ملكة أمازيغ الأوراس) التي اعتنقت اليهودية بدور بارز في مقاومة الفتح الإسلامي، كما يعرف عنها أنها قامت بأعمال تخريب ودمار واسعة في الجهات الغربية من ليبيا زاعمة أن العرب/المسلمين جاءوا لاحتلال البلاد والاستيلاء على خيراتها.

لا غرو إذن أن تحتل أحداث تاريخية بهذه الأهمية وهذا الإيقاع حيزاً بارزاً من ذاكرة اليهود حول برقة خاصة، وحول ليبيا بصفة عامة، وأن تلعب دوراً غير عادي في تشكيل الضمير اليهودي. ولا شك أن الأمر يكتسب خطورة زائدة عندما ترتبط هذه الأحداث ببلاد وردت بشأنها نبوءات في أسفار اليهود القديمة. فقد تردد وجود نبوءة في أحد الأسفار التوراتية مفادها أن عدة حروب طاحنة تقوم بين العرب واليهود ينتصر فيها اليهود على أبناء إسماعيل إلى أن تأتي حرب حاسمة في آخر الزمان ينتصر فيها العرب على بني عمومته اليهود بسبب تدخل "الليبيين" في تلك الحرب.

وقد أشار إلى هذه النبوءات عدد من المؤلفات التي صدرت مؤخراً، من ذلك ما ورد بكتاب "رموز التوراة" *The Bible Code* ^٣ لمؤلفه مايكل دروسنين Michael Drosnin حيث أشار إلى عدد من النبوءات نسبها إلى التوراة تتحدث عن "ضرب إسرائيل من مواقع ليبية" ^٤. ومن ذلك أيضاً ما ورد في كتاب "البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني" تأليف الدكتور يوسف الحسن. ^٥ ومن ذلك الإشارة التي وردت

٣ من إصدار Simon & Schuster ١٩٨٨.

٤ راجع الصفحات ٦٢، ٦٤، ٦٥-٦٨، ١٣٦، ١٩٩، ٢٠٧ من الطبعة الإنجليزية.

٥ (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠) ص ١١٧.



بكتاب " النبوءة والسياسة " ^٦ لمؤلفته جريس هالسيل Grace Halsell وقد جرت الإشارة فيه إلى أنه ورد بالفصل (٣٨) من إصحاح حزقيال نص يقول " إن أرض إسرائيل سوف تتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش تابعة لدول لا تؤمن بالله وأن ليبيا ستكون بينهم " .

٦ ترجمة محمد السمّاك (جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ١٩٨٩) ص ٢٣ .

أطماع ومطالب

إن هذه الأحداث الدامية الجسام من تاريخ اليهود في ليبيا عامة وفي برقة على وجه الخصوص هي التي جعلت المؤرخ اليهودي فلافيوس جوسيفوس Flavius Josephus (مؤرخ يهودي وقائد عسكري من مواليد فلسطين ٣٧م - ٩٥م، كانت له أدوار هامة في ثورة اليهود ضدّ الرومان في فلسطين قبل أن يستسلم ويصبح فيما بعد أحد المواطنين الرومان) يعتبر برقة امتداداً لفلسطين فيما وراء نهر النيل. كما جعلت المؤرخ اليهودي ناحوم سلوش (Nahum Slouschz) يقول في الملحق الذي أعده لـ "الكتاب الأزرق" (سوف نشير إليه بالتفصيل فيما بعد): "إنه باستثناء بلاد ما بين النهرين لا يوجد بلد يلعب دوراً هاماً في تاريخ اليهود مثل ما لعبته برقة".

غير أن الأمر لم يقتصر على مجرد التعبير عن الدور المهم الذي لعبته برقة وليبيا في تاريخ اليهود، بل تجاوزه إلى "مطالب ومطامع" في هذه البلاد عبّر عنها المؤرخ الصهيوني "سلوش" في ملحق الكتاب الأزرق (عام ١٩٠٩) وقد جاء بآخر عبارة فيه: "إن البلاد (ليبيا) ما زالت تنتظر عودة سكانها الأصليين اليهود الأبطال".

وفي هذا الشأن يسجل رينزو دي فيليتششي في كتاب "يهود في بلاد عربية: ليبيا ١٨٣٥ - ١٩٧٠" ^٧ الوقائع التالية:

7 Renzo, De Felice, *Jews in an Arab Land: Libya, 1835- 1970*, Trans. =

• انضمام البارزين من أعضاء الجماعة اليهودية في ليبيا إلى التحالف الإسرائيلي العالمي الذي تأسس عام ١٨٦٠ في باريس (الصفحات ١٢، ١٣).

• قيام هرتزل (الزعيم الصهيوني) عام ١٩٠٤ بمخاطبة ملك إيطاليا فيتوريو إيمانويل الثالث يطلب منه المساعدة، على أن تكون ليبيا أرضاً لمن يبقى من اليهود الذين لا تتسع لهم أرض فلسطين.

ويشير الأستاذ المرحوم مصطفى عبد الله بعيو في كتابه القيم "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" إلى عرضين قدمتهما الدولة العثمانية بتوطين بعض اليهود في عدد من مناطق ليبيا (ويبدو أن الدولة العثمانية قدّمت هذه العروض كبديل في مواجهة الضغوط التي تعرضت لها بسبب رفضها لفكرة توطين اليهود في أرض فلسطين):

العرض الأول

قدم هذا العرض لليهود من قبل الدولة العثمانية بخصوص ترغيب اليهود في الإقامة بمنطقة سرت بتقديم الامتيازات والتسهيلات اللازمة لهم. كان عدد يهود بلدة سرت في عام ١٩٠٩ نحو (٥٠) يهودياً. ولا يعرف موقف اليهود من هذا العرض.^٨

العرض الثاني

وقد تمثل هذا العرض فيما اقترحه والي طرابلس التركي رجب باشا (١٩٠٤ - ١٩٠٩) على ناحوم سلوش أثناء مقابلة له خلال زيارة الأخير لليبيا عام ١٩٠٦. (وكان رجب باشا ودياً للغاية في موقفه من اليهود بقدر ما كان معارضاً للتغلغل الإيطالي في ليبيا، مما دفع إيطاليا إلى السعي لنقله من ليبيا،

= from the Italian by Judith Roumani (University of Texas Press, Austin, 1985), p. 25.

وقد تحقق هذا النقل عام ١٩٠٩ إثر انقلاب جماعة "الاتحاد والترقي" الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد، وقد اقترح رجب باشا على ناحوم سلوش الاهتمام بمنطقة "مسلاتة" ودراسة إمكانية الاستفادة منها في توطين اليهود.

مشروع "ليبيا كوطن قومي لليهود"

(البعثة اليهودية إلى برقة - يوليو/أغسطس ١٩٠٨)

في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت "الدعوة الصهيونية العالمية" على أشدها في أوروبا، وكانت الدعوة الصهيونية إلى إيجاد "وطن قومي لليهود" هي الشغل الشاغل لمفكريهم وأنصارهم. وإذا كانت الدعوة الصهيونية العالمية قد ركزت جهودها كلها للحصول على بلاد فلسطين لتحقيق هذه الأمنية، فإن محاولات أخرى متعددة قد بذلت لاختيار مكان آخر لإنشاء "الوطن القومي لليهود" في شرق إفريقيا (أوغندا) وفي أستراليا وفي شبه جزيرة سيناء وفي كندا، بل في بعض الولايات المتحدة الأمريكية. وكان طبيعياً في ضوء هذه الأجواء والخلفيات أن ترد "ليبيا" ضمن الأماكن المرشحة لأن تكون الوطن القومي لليهود.

وقد جاء هذا التفكير في "ليبيا" وفي برقة بالذات من الدبلوماسي اليهودي البريطاني هاري جونستون Sir Harry H. Johnston (كان يعمل قنصلاً عاماً في تونس في أواخر عام ١٨٧٩) وقد طرأت الفكرة عليه أثناء زيارة قصيرة قام بها لزميله القنصل البريطاني في طرابلس خلال ولاية سليمان نامق باشا (١٨٩٦ - ١٨٩٨). وقد ترك جونستون البلاد وهو يحمل في ذهنه فكرة الاستفادة من ليبيا ومنطقة الجبل الأخضر بالذات كوطن قومي لليهود. وفي لندن قام بعرض الفكرة على "منظمة الأراضي اليهودية" Jewish Territorial Organization التي كان يرأسها صديقه اليهودي إسرائيل زانجويل (Israel Zangwill). وفي ضوء ما اقترحه المستر جونستون، وما ذكره المستر ناحوم

سلوش (الذي سبق له أن زار طرابلس في ١٠/٧/١٩٠٦ في عهد ولاية رجب باشا) حول استعداد السلطات العثمانية لقبول فكرة إنشاء وطن يهودي في ليبيا، فقد وافقت "منظمة الأراضي اليهودية" على تكوين بعثة علمية وإرسالها إلى طرابلس، ومنها إلى منطقة الجبل الأخضر لدراسة إمكانية تحقيق هذه الفكرة على الطبيعة، وقد عهد برئاسة هذه البعثة إلى الأستاذ ج. و. جريجوري (J. W. Gregory) أستاذ الجيولوجيا في جامعة جلاسجو البريطانية، وقد ضمت البعثة ستة أعضاء آخرين، ولم يكن بين أعضاء هذه البعثة سوى يهودي واحد هو ناحوم سلوش (ربما من أجل ضمان ألا تكون عرضة للطعن فيما لو كان أعضاء البعثة من اليهود).

ومن الواضح أن إسرائيل زانجويل قام في هذا الصدد بجمع كافة الآراء التي أدلى بها العلماء لتأييد فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في برقة، وقد ركز على أهمية موقع برقة بصفة خاصة من حيث قربها من روسيا وألمانيا اللتين كانتا تعتبران أهم مراكز اضطهاد لليهود في ذلك الوقت.

ومن أجل ضمان نجاح المشروع المتعلق باختيار برقة كوطن قومي لليهود، فقد اتصل إسرائيل زانجويل رئيس المنظمة اليهودية بصديقه آرمينوس فامبيري (Arminius Vambery) (كان فامبيري هو الأب الروحي لجماعة "تركيا الفتاة"، وكان في الوقت نفسه صديقاً شخصياً للسلطان عبد الحميد الثاني، كما كان الشخص الذي قدّم الدكتور "هرتزل" زعيم الحركة الصهيونية إلى السلطان ليطلب منه السماح لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين). وكان هدف زانجويل من الاتصال بـ "فامبيري" هو إطلاعهم على المشروع اليهودي في برقة ومعرفة وجهة نظره فيه، لما لرأيه من مكانة خاصة في المسائل العثمانية، ولما كان يتمتع به من مكانة في البلاط العثماني. وقد جاء رد فامبيري سريعاً بالموافقة على المشروع المقترح، واستعداده لأن يكون في خدمة بني دينه.

وفي ١٦ يوليو عام ١٩٠٨ وصلت البعثة إلى طرابلس، حيث استقبلت من قبل القنصل البريطاني الذي قدّمها إلى الوالي رجب باشا، وهذا أبدى

تعاطفه والاستعداد لعمل أي شيء في استطاعته لتحرير اليهود مما كانوا يعانونه، كما أبدى موافقته على مشروع توطين اليهود في برقة، ونصح به زيارة منطقتي "مسلاتة" و"الجبل الغربي" في داخل الولاية، واستكشف إمكانيةتهما للاستيطان اليهودي قبل الذهاب إلى برقة من أجل المهمة نفسها. (وعلى الرغم من أن رجب باشا لم يقدم المشروع اليهودي رسمياً إلى حكومته في استانبول، فإن ما أبداه من حماسة للفكرة اعتبرته المنظمة اليهودية بادرة طيبة من حكومة تركيا).

وقد زوّد رجب باشا البعثة ب خطاب توصية إلى متصرف بنغازي، كما سمح للبعثة أن تصحب معها سكرتيه الشخصي وترجمانه اليهودي يعقوب كريجر (Jacoub Kreger). وغادرت البعثة طرابلس في ١٩٠٨/٧/٢٠ ووصلت إلى مدينة بنغازي يوم ١٩٠٨/٧/٢٢ حيث استقبلت من قبل المتصرف (غالب باشا) الذي كان حذراً في تصرفاته (وفقاً لرأي رئيس اللجنة). وواصلت البعثة رحلتها إلى درنة التي وصلتها عن طريق البحر يوم ١٩٠٨/٧/٢٤. وفي يوم ١٩٠٨/٧/٢٧ تحركت البعثة في قافلة إلى عين "أبوللو" في "شحات". وتنقلت ما بين مدن شحات ومرسى سوسة ومسّة^٩ وسلنطة والمرج ثم طلميشة. وفي ١٩٠٨/٨/٢٦ كان رئيس البعثة وعدد من أعضائها قد عادوا إلى لندن.

وعلى الرغم من أن منظمة الأراضي اليهودية قد تضايقت كثيراً من إبعاد رجب باشا من منصب الوالي في طرابلس، واستدعائه إلى استانبول (لم ينس رجب باشا أن يترك وراءه رسالة إلى البعثة ليعلمها بأنه يضع نفسه تحت تصرف المنظمة اليهودية) فإنها سرعان ما عاد إليها الاطمئنان بعد علمها بتعيين رجب باشا وزيراً للحرب في حكومة الاتحاد والترقي التي أطاحت

٩ أفادت تقارير أمنية أن بعض المستثمرين اليهود شرعوا منذ أواخر عام ٢٠٠٦. وتحت غطاء شركات استثمارية ثالثة، في شراء مساحات شاسعة من الأراضي الفضاء في مناطق شحات ومرسى سوسة ورأس الهلال عبر وسطاء ليبين تردد أن من بينهم أحد أبناء العقيد القذافي.

بالسلطان العثماني، غير أن هذا الاطمئنان لم يدم، فلم يمض أسبوع على تعيين رجب باشا في هذا المنصب حتى مات فجأة.

وفي يناير ١٩٠٩ أصدرت "منظمة الأراضي اليهودية" في لندن "الكتاب الأزرق" (٦٥ صفحة)، وقد حوى هذا الكتاب التقارير التي أعدتها البعثة التي أوفدتها لدراسة إمكانية إنشاء الوطن القومي اليهودي في منطقة الجبل الأخضر ببرقة، وفضلاً عن التقارير العلمية التي أعدها أعضاء البعثة الاختصاصيون (تقرير عام عن الموارد المائية والتربة والأراضي، ووسائل النقل والسكان والأحوال السياسية، وتقرير آخر عن الأوضاع الزراعية، وثالث عن الموارد المائية والإمكانات الهندسية لبرقة، ورابع عن الأحوال الصحية في برقة) فقد ضمّ الكتاب الأزرق "مقدمة تاريخية سياسية" أعدها إسرائيل زانجويل، كما خُتم بـ "ملحق" أعده ناحوم سلوش عن اليهود واليهودية في برقة القديمة ختمه... بالعبرة التي سلفت الإشارة إليها: "إن هذه البلاد (ليبيا) ما زالت تنتظر سكانها الأصليين اليهود الأبطال".

كان رئيس "منظمة الأراضي اليهودية" إسرائيل زانجويل شديد الحماسة لهذا المشروع، وكان يرى في برقة، بأراضيها الداخلية، مكاناً صالحاً لتحقيق معظم المواصفات المطلوبة لإنشاء الوطن القومي لليهود (التي نشرتها المنظمة في فبراير ١٩٠٧)، وإذا كان الماء ينقص برقة فإن تربتها ممتازة ومناخها صحي وحرارتها مقبولة ومناظرها خلابة إلى جانب موقعها الجغرافي العظيم، وهي خالية من الحيوانات المفترسة تقريباً، وسكانها قليلون ومعظمهم من الرّحل، وأراضيهم الداخلية واسعة وخالية من السكان، وبها نواة من اليهود الموجودين في المدن". (بالطبع هذا قبل معرفة واكتشاف البترول في ليبيا).

ورغم ذلك فإن "منظمة الأراضي اليهودية" انتهت، في ضوء تقرير بعثتها وحالة الحذر التي أبدتها بعض أعضاء مجلسها، إلى قرار بعدم القيام بأي عمل آخر بالنسبة لتحقيق مشروع الوطن القومي لليهود في برقة، لأن توقعاتها لتوطين اليهود فيها لا تبشر بنجاح كافٍ يبرّر التجارب الباهظة



التكاليف التي اقترحتها البعثة في تقريرها حتى تكون البلاد صالحة للاستيطان اليهودي فيها.

ولئن كانت هذه المطالب قد أنهت هذا المشروع؛ فهل انتهت وتوقفت معه المطامع والمطالب اليهودية في ليبيا؟

في ظل الحكم الإسلامي

(منذ عام ٦٤٣م)

تجمع المصادر التاريخية (بما فيها اليهودية) على أن اليهود عاشوا في ليبيا في ظل الحكم الإسلامي، الذي بدأ مع الفتح الإسلامي لليبيا، وبقيّة دول الشمال الإفريقي منذ عام ٦٤٣ ميلادية يتمتعون بكامل حقوقهم الدميّة، وأن أحوالهم المعيشية وأوضاعهم الدينية والثقافية كانت موضع احترام ورعاية السلطة الحاكمة.

وفي القرن الخامس عشر الميلادي شهدت طرابلس هجرة كبيرة من اليهود وفدت إليها من إسبانيا بعد أن زال عنها الحكم الإسلامي، ويقدر عدد العائلات التي نزحت إلى طرابلس في تلك الآونة بنحو (٣٠٠) عائلة.

وعندما استولى الإسبان على مدينة طرابلس عام ١٥١٠ ميلادية تعرّض الكثير من يهود المدينة إلى بطش الإسبان وتعذيبهم وقتلهم، وكان من نتائج الأعمال الوحشية التي قام بها الإسبان بعد احتلالهم لطرابلس أن لجأ الكثير من اليهود القاطنين فيها إلى بلدة غريان الجبلية حيث عاشوا مع بقية إخوانهم الليبيين في اطمئنان وسلام.

وعندما جاء العثمانيون إلى مدينة طرابلس عام ١٥٥١ ميلادية وجدوا بها نحو (٤٠) عائلة يهودية، وكانت هذه العائلات قد جاءت طرابلس من بلدة "جادو" بالجبل الغربي. ونعم اليهود بالتسامح الذي عرف عن العثمانيين مع اليهود، فتمتعوا بوضع مالي ممتاز مكّنهم من لعب دور الوسيط بين الدولة

العثمانية والدول الأوروبية، كما أتاحت عمليات الجهاد البحري (وما عرف عند الكتاب الغربيين بالقرصنة البحرية) فرصة طيبة لليهود طرابلس لتنمية مواردهم المالية عن طريق أعمال الوساطة بين الطرفين. وفضلاً عن ذلك، فقد عرفت مدينة طرابلس عدداً من العلماء اليهود الذين اكتسبوا شهرة واسعة، كما عرفت بعض الحركات الدينية اليهودية، كالحركة التي قام بها اليهودي ميكائيل كاردوزو (Michael Cardoso) الذي ادّعى أنه المسيح المنتظر (عام ١٦٦٤)، وقد انتشرت هذه الحركة بين يهود شمال إفريقيا حتى المغرب الأقصى.

وتحدّث المصادر التاريخية أن اليهود في ليبيا تمتعوا خلال العهد القره مانللي (١٧١١ - ١٨٣٥) بنفوذ قوي لدى الأسرة الحاكمة وبخاصة في عهد (علي باشا القره مانللي) الذي أعطى يهودية تدعى "إستير" مكانة خاصة لديه لدرجة أنها كانت تعرف "بالمملكة إستير"، وقد استطاعت أن تلعب دوراً هاماً لصالح أبناء الجالية اليهودية في طرابلس. كما كان لليهود مدينة طرابلس دور هام في سياسة البلاد خلال عهد "يوسف باشا القره مانللي" إلى أن تدهورت علاقته بهم في ظل الأزمات المالية التي عانى منها، والتي كانت الديون التي أغرقه فيها اليهود أحد أسبابها الهامة.

كما استمر يهود ليبيا ينعمون برخائهم واستقرارهم طيلة العهد العثماني الثاني (١٨٣٥ - ١٩١٢). وتوجد وثيقة باللغة العبرية تعطي وصفاً للمجتمع اليهودي في طرابلس عام ١٨٨٦. وقد سجّلت هذه الوثيقة وجود (١٨) بيعة يهودية و(١١) مدرسة لتعليم التوراة، إلى جانب مدرستين للاتحاد الإسرائيلي. وتتضارب المصادر حول أعداد اليهود في ليبيا في مطلع القرن العشرين، فالرحالة ناحوم سلوش يقدّر أن إجمالي عددهم كان (٣٥) ألف يهودي (يتراوح عدد سكان ليبيا يومذاك ما بين ٩٠٠ ألف ومليون نسمة)، على حين أن كتاب "يهود في بلاد عربية - ليبيا ١٨٣٥ - ١٩٧٠" لمؤلفه اليهودي رينزو دي فيليتي سي يكشف في الصفحة (٦٣) أن إجمالي عدد اليهود الليبيين وفقاً لتعداد عام ١٩٣١ (في ظل الاحتلال الإيطالي) لم يتجاوز

(٢٤, ٠٢٤) نسمة موزعين بين مختلف المدن الليبية كالآتي :

ولاية طرابلس

٦٢١	زواره	١٥٢٧٩	طرابلس
٦١	جنزور	٥١٦	الزاوية
٥٢٩	زليتـن	١١٥٨	العمروس
٢٦١	سرت	٧٠٢	مصراته
١٨٩	تغرنة	٣٢٢	يفرن
٣٣	القصبات (مسلاته)	١٨٩	تاجوراء
٨٥	غريان	٦٨٨	الخمس
٧٣	ترهونه	٤٤	ورفلة (بني وليد)

ولاية برقة

٤١	أجدابيا	٢٠٦٢	بنغازي
٢٤٨	المرج	٢١	سلوق
١٧٥	طبرق	٢٩٣	درنة
		٤٥	البردى

وقد تحدثنا عن المدى الذي بلغه بعض الولاة الأتراك (الوالي رجب باشا) في حرصهم على استرضاء اليهود الليبيين، وفي تعبيرهم عن تعاطفهم معهم.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى ما ورد على لسان وزير الحرب البريطاني لوسون (Lawson) أمام مجلس العموم البريطاني يوم ٢٧ / ١١ / ١٩٤٥ (في معرض رده على السؤال الذي كان قد وجهه الميجور رينتون (عضو مجلس العموم) بشأن الاضطرابات التي كانت قد وقعت في طرابلس يوم ٤ / ١١ / ١٩٤٥ بين المسلمين واليهود وذهب ضحيتها عدد من القتلى والجرحى من الجانبين) من وصف لطبيعة العلاقة بين المسلمين (العرب) واليهود في ليبيا، نقلاً عن مقال محمد بن غلبون في "الحياة" اللندنية

١٩٩٧/٩/٢١ بعنوان "عناصر خارجية افتعلت الاضطرابات أم ردة فعل على حوادث فلسطين" حيث قال المستر لوسون:

"عاشت الطائفة اليهودية في طرابلس متمتعة بعلاقات طيبة مع العرب منذ عدة قرون، وعلى الرغم من تصاعد حدة التوتر السياسي في تلك البلاد، بسبب غموض مستقبلها [لم تكن ليبيا قد حصلت على استقلالها بعد]، فلم يكن هناك ما يدعو لتوقع حدوث انفجار ضد اليهود".

كما لا ينبغي أن تفوت الإشارة إلى العبارة التي وردت في المقال السابق نفسه نقلاً عن الشكوى التي بعث بها السكرتير السياسي للمجلس اليهودي العالمي المستر أ.ل. إيسترمان إلى وزير الخارجية البريطاني آنذاك المستر أرنست بيغان ١٩٤٥/١١/٢٧ بشأن الاضطرابات التي كانت قد وقعت في طرابلس في مطلع ذلك الشهر، والتي جاء فيها:

"تسلم المجلس اليهودي العالمي احتجاجات قاسية من الطائفة اليهودية في طرابلس حول تفجر هذه الموجة من العنف ضدهم للمرة الأولى طوال قرون من التعايش السلمي والودي بين المواطنين العرب واليهود".

موقف يهود ليبيا من الاحتلال الإيطالي

(منذ خريف عام ١٩١١)

على الرغم من المعاملة الكريمة الطيبة التي تمتع بها يهود ليبيا في ظلّ الحكم الإسلامي في جوار بقية الليبيين (المسلمين) فإن موقف يهود ليبيا من الغزو الإيطالي الذي تعرّضت له الأراضي الليبية منذ خريف عام ١٩١١ اتسم في جملته بالترحيب والمساندة للغزو، وعبر عن أحقاد وضغائن تجاه ليبيا وشعبها المسلم، وهو أمر يدعو إلى الحيرة والاستغراب.

ذكر فاضل المسعودي^{١٠} (رداً على مقال ديفيد هاريس بصحيفة هيرالد تريبيون بتاريخ ١٠/٧/١٩٩٧ بعنوان "كيف وصل يهود ليبيا إلى نهاية لم تلق إلا انتباهاً قليلاً؟") في عبارة مجملة وعامة مفادها أنه "ظهر منهم (اليهود الليبيون) من حمل السلاح وأبلى بلاءً حسناً إلى جانب المجاهدين ضدّ الغزو الإيطالي ومات بعضهم من أجل ليبيا، ولم يزل في برقة ومصرّاة بالذات من شيوخ تلك المرحلة "شهود أحياء" يتحدثون عن "المجاهدين اليهود".^{١١} وفي الوقت الذي لا نستبعد وجود

١٠. "الحياة" اللندنية ١/٨/١٩٩٧.

١١. للأسف فإن فاضل المسعودي لم يورد في مقاله أي اسم من أسماء هؤلاء "المجاهدين اليهود". للمزيد حول هذا الموضوع راجع:

"تاريخ الجالية اليهودية في برقة تحت الاستعمار الإيطالي خلال الفترة ١٩١١-١٩٤٢"

لسليمان خطاب سويكر (جامعة قاريونس - فرع المرج، ٢٠٠٨).

"سألتهم فتحدثوا: دراسة حول يهود ليبيا" تأليف أحمد مصطفى الرحال. شارك في الإعداد رافائيل لوزون (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨).

هذه النماذج التي يتحدّث عنها السيد المسعودي من يهود ليبيا، فإن الحقيقة التي لا جدال حولها، بل تؤكد المصادرات اليهودية ذاتها، هي أن الموقف العام ليهود ليبيا من الاحتلال الإيطالي كان موقف ترحيب وتأييد ومساندة. وتجمع المصادر التاريخية أن اليهود وجدوا فيه فرصة لتنمية أوضاعهم الاقتصادية، وأن هذا الموقف كان أشد وضوحاً بين يهود مدينة طرابلس.

وقد لاحظ الكاتب الإنجليزي فرانسيس مكولاج في كتابه "حرب إيطاليا من أجل صحراء"^{١٢} وجود جميع يهود مدينة طرابلس وعدم تغيب واحد منهم، ممّا يعني عدم اشتراكهم في معسكرات المجاهدين الليبيين خارج المدينة. كما لاحظ مشاركتهم في أعمال الترجمة والإبلاغ والتجسس للإيطاليين عمّا كان يقوم به الأهالي من نشاط مضاد للإيطاليين. كما يذكر الكاتب الإنجليزي الكثير من الأمثلة لأعمال الجاسوسية التي كان يقوم بها بعض اليهود لحساب السلطات الإيطالية وقواتها المعتدية، ممّا أدى إلى قتل الليبيين وإلحاق الأذى بهم. وقد أدان الكاتب الإنجليزي جميع يهود مدينة طرابلس بانحيازهم إلى الجانب الإيطالي (الصفحات ٧٩، ١٤٧، ١٤٨).^{١٣}

بل تذهب المصادر اليهودية إلى أبعد من ذلك، إذ يذكر دي فيليتششي ما يلي:

• "أيقنت الغالبية العظمى من أعضاء الجماعة اليهودية الليبية قبل احتلال إيطاليا

= مقال: "تاريخ أم حوار؟ عندما تحدث يهود ليبيا" بقلم رامز رمضان النويصري. "ميدل إيست أون لاين"، سبتمبر ٢٠٠٨.

12 Francis McCullagh, *Italy's War for a Desert* (Herbert & Daniel, 1912).

١٣ بعيو، مصدر سابق، ص ٤٥. للمزيد حول هذا الموضوع راجع: "تاريخ الجالية اليهودية في برقة تحت الاستعمار الإيطالي خلال الفترة ١٩١١-١٩٤٢" لسليمان خطاب.

- لليبيا أن ذلك الاحتلال هو الحلّ الأمثل لخلاصهم من المسلمين " .^{١٤}
- "وكانت الاتصالات بين الجماعة اليهودية الليبية وإيطاليا مكثفة وبأشكال كثيرة لتسهيل الاحتلال . " ^{١٥}
- ولقد وقفت الجماعة اليهودية الليبية كلها في ليبيا مع الطليان في حربهم ضد الأتراك (والليبيين) في طرابلس ، كما ساهموا في هذه الحرب مع الطليان بالفعل أثناء عمليات الاحتلال الأولى ، فمثلاً كان على ظهر كلّ بارجة إيطالية تقصف طرابلس تمهيداً لاحتلالها اثنان من الجماعة اليهودية الليبية تدلّهم على المواقع الواجب ضربها " .^{١٦}
- وكذلك في بنغازي . فقد قام الأخوان هارون وأفرايم خلفون ، اللذان كانا يملكان ورشة لصناعة القوارب ، بتزويد قوات الإنزال بالعوّامات والمساعدين اللازمين ، كما حاول جوزيف عبوب - بوردن ، أحد زعماء اليهود في بنغازي ، إقناع وجهاء تلك المدينة من الليبيين بالتسليم وبالتعاون مع الاحتلال ، كما ساعد اليهود قوات الطليان في عمليات الإنزال في الزويتينة ، وعملوا مرشدين للطليان أثناء توغلهم في الدواخل " .^{١٧}
- كافأ الجنرال الإيطالي (كانيفا) الجماعة اليهودية الليبية باستقبال زعمائهم بعد السلك الدبلوماسي ، وقبل من حضر من وجهاء طرابلس من الليبيين .^{١٨}
- باتت الدعوة للحركة الصهيونية والاشتراك في نشاطاتها علنية من خلال (نادي صهيون) الذي أسّسه (النحاسي) في طرابلس ، وتلاه في رئاسته (باردا) منذ عام ١٩١٥ . " ^{١٩}

ولئن تغيّر موقف الطليان الفاشيست من يهود ليبيا في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين ؛ فلم يكن ذلك في واقع الأمر بسبب تغيّر طراً على موقف

١٤ دي فيليشي ، مصدر سابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

١٥ المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

١٦ المصدر نفسه ، ص ٤٠ ، ٤١ .

١٧ المصدر نفسه ، ص ٤١ .

١٨ المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

١٩ المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

هؤلاء اليهود إزاء الاحتلال الإيطالي لليبيا، فالعكس هو الصحيح، إذ الذي حدث هو أن السياسة الإيطالية الفاشستية هي التي غيّرت من نظرتها ومعاملتها لليهود تمشيًا مع سياسة حليفها ألمانيا النازية. وفي ظلّ هذه السياسة الجديدة لإيطاليا جرت حوادث الضرب والاعتداء حتى على حاخامات اليهود في طرابلس من قبل جنود الاحتلال الإيطالي، وفي ظلّ هذه السياسة أيضًا قامت السلطات الإيطالية في ليبيا، فور اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، باعتقال الكثير من اليهود ووضعهم في معتقلات خاصة بهم في "جادو" بالجبل الغربي وعزلتهم عن بقية المعتقلين الليبيين.

ويصف محمد أحمد القلال عملية الاعتقال التي تعرض لها يهود برقة في "جادو" عام ١٩٤١ ثم عودتهم إلى بنغازي عام ١٩٤٣ على النحو التالي:

"وبعد أن وقّعت إيطاليا اتفاقية "روما" مع ألمانيا الهتلرية، ثم أعلنت الحرب ضد بريطانيا وفرنسا، طلبت سلطاتها في برقة من الأفراد الذين يحملون جنسيات أخرى أن يرحلوا إلى بلدانهم الأصلية، وكان منهم عرب مسلمون يحملون الجنسية الفرنسية، فغادر معظمهم إلى تونس حيث كانت تحت الحكم الفرنسي. ولكن الجالية اليهودية لم تكن من فئة أولئك الذين رحلوا، فبقيت في وضع خاص، ولعل الحكومة الإيطالية كانت تخشى تعاونهم مع بريطانيا، لأن فلسطين كانت تحت الانتداب البريطاني، أو أن موقف إيطاليا من اليهود كان بإيعاز من حليفها ألمانيا. ولهذه الأسباب أو غيرها، قررت السلطة الإيطالية في برقة ترحيل جميع اليهود إلى "جادو" شمال غرب البلاد الليبية، وذلك خلال شهر يوليو ١٩٤١، وأقامت لهم معسكراً خاصاً، وتولت تزويدهم بالتموين الضروري. وقد علمت بوضعهم المنظمات الصهيونية، ولكنها لم تستطع عمل شيء حيالهم لظروف الحرب، واعتبرت أن ما أصابهم هو ما أصاب الآخرين من اليهود في أوروبا. ولما انتهت الحرب في ليبيا، قامت المنظمة الإسرائيلية في جنوب إفريقيا بتنبيه بريطانيا إلى وضعهم في "جادو" وطلبت إعادتهم إلى ديارهم، فأوعزت الأخيرة إلى الإدارة العسكرية البريطانية في برقة للاهتمام بهم وإعادتهم، فأقامت لهم معسكراً مؤقتاً في "غريان" تمهيداً

لإعادتهم، ثم بدأت نقلهم إلى بنغازي بطريق البر على دفعات، ونقلتهم بواسطة سيارات الجيش، فوصلت الدفعة الأولى المكونة من ٥٠٠ يهودي خلال شهر مايو ١٩٤٣، وانتهى نقلهم أواخر شهر يوليو من نفس السنة. وقد كان عددهم الإجمالي حوالي ٢٥٠٠ يهودي بعد أن مات منهم ٥٤٠ شخصاً في "جادو" وبلغت تكاليف النقل والإعاشة حوالي ٢٦٥٠٠ جنيه إسترليني. وأبلغت المنظمة الصهيونية بجنوب إفريقيا بإعادتهم، وطلبت منها بريطانيا المساهمة في مصاريف إعادتهم، ورأت بريطانيا أنه إذا ساهمت المنظمة سوف توزع القيمة عليهم كإعانات فردية للفقراء منهم. "٢٠

٢٠ "سنوات الحرب والإدارة العسكرية البريطانية في برقة ١٩٣٩ - ١٩٤٩" (جامعة قاريونس - بنغازي، ٢٠٠٣) ص ٢٣٢، ٢٣٣.

تحت الإدارة البريطانية لليبيا

(١٩٤٣-١٩٥١)

كان فرح يهود ليبيا (كغيرهم من بقية الليبيين) عظيماً بدخول القوات البريطانية ليبيا عام ١٩٤٣ (في أعقاب هزيمة قوات المحور)، ويستبعد بعضهم أن ذلك الفرحة الذي انتاب اليهود الليبيين كان احتفالاً بتحرير ليبيا من الطليان بقدر ما كان تزلفاً للإنجليز الذين باتوا قاب قوسين أو أدنى من تحقيق "وعد بلفور"^{٢١} وأياً ما كانت دوافع اليهود الليبيين لتلك الفرحة، فمن الثابت أنهم فرشوا السجاد في الشوارع الليبية للجنود الإنجليز، ومن الثابت أيضاً أن عهد الإدارة البريطانية في ليبيا (طرابلس وبرقة) اقترن بانتعاش يهود ليبيا، فقد احتضنتهم السياسة البريطانية الجديدة، كما وجد هؤلاء اليهود كامل الدعم من بعض موظفي الإدارة البريطانية اليهود (من أمثال المستر جوردن Jordan متصرف مدينة طرابلس ودكتور سيغال Dr Sigal مدير معارف طرابلس، والمستر جالجار Gallagher عميد بلدية طرابلس)، الأمر الذي شجّعهم ودفعهم إلى تحقيق الكثير من المكاسب المادية، بالإضافة إلى إحياء الروح الصهيونية وإشعالها بينهم (سمحت الإدارة البريطانية للطائفة اليهودية بمباشرة نشاطها الصهيوني العلني من خلال الإذن لها بفتح ناديها المعروف

٢١ انظر المحاضرة التي ألقيت في جمع خاص من الليبيين والعرب في فيينا أثناء انعقاد مؤتمر حقوق الإنسان برعاية الأمم المتحدة في يونيو ١٩٩٣ ونشرت تحت عنوان: من القدس كلمة السر إلى القدس وانكشاف السر، (بدون ناشر، ١٩٩٣).

بـ "المكابي" في أحد أهم شوارع طرابلس). ولم يقتصر هذا على يهود مدينة طرابلس بل تعداها إلى بقية المدن الليبية.

○ اضطرابات عامي ١٩٤٥، ١٩٤٨

شهد العامان ١٩٤٥، ١٩٤٨ اضطرابات ومصادمات عنيفة بين يهود ليبيا وبقية الليبيين، ذهب ضحيتها أعداد من الجرحى والقتلى، وصاحبته اعتداءات واسعة على الممتلكات.^{٢٢}

تجدر الإشارة بشأن هذه الاضطرابات إلى الملاحظات التالية:

أولاً: أن هذه الحوادث والاضطرابات قد وقعت في ظل الإدارة البريطانية في ليبيا ولم تكن في ظل حكم وطني ليبي. والمعروف أن الحكومة البريطانية هي التي أعطت "وعد بلفور" الشهير لليهود في ١٩١٧/١١/٢ وهي الراعية الأساسية لقيام دولة إسرائيل.

ثانياً: تزامنت هذه الحوادث مع تصاعد المد الصهيوني على امتداد العالم، وتكامل التحضيرات والترتيبات بشأن الإعلان عن قيام الدولة العبرية بعد تقسيم فلسطين، ودعوة اليهود المقيمين في شتى بلدان العالم، وحثهم ودفعهم - بكل سبل الترغيب والترهيب - إلى الهجرة إلى فلسطين. ولعل برقية المؤازرة التي نشرتها "الجويش كرونيكل" ضمن مقالها الصادر في ١٩٤٥/١١/١٦، والتي كان قد بعث بها الرئيس "إسحق بن زفي" باسم الـ "يوشوف" (الجماعات اليهودية في فلسطين قبل إعلان دولة إسرائيل) إلى زاكينو حبيب رئيس الطائفة اليهودية في طرابلس في أعقاب حوادث عام ١٩٤٥، تكشف الكثير حول الأسباب والدوافع لتلك الاضطرابات، فقد جاء

^{٢٢} راجع المقال الذي نشره محمد بن غلبون (٣ حلقات) بشأن هذه الأحداث في "الحياة" اللندنية بتاريخ ٢١-٢٣ سبتمبر ١٩٩٧. راجع أيضاً "ذكريات وخواطر مصطفى فوزي السراج، سلسلة السير والتراجم (٩)" (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ٢٠٠٥)، ص ٣٤١، ٣٤٢.

في تلك البرقية:

"لقد روّعت هذه المذبحة الرهيبة الـ "يشوف" ... إن تضحياتكم دليل جديد على المصير المرير الذي يهدّد الأقليات اليهودية في الأقطار المجاورة. تحلّوا بالصبر والشجاعة، وارفَعوا أنظاركم صوب صهيون من حيث سيأتي خلاص إسرائيل."

ثالثاً: دأبت المصادر اليهودية التي تناولت هذه الحوادث (من ذلك مقالة "الجويش كرونيكل" الصادرة في ١٦ / ١١ / ١٩٤٥)^{٢٣} على المغالطة والافتراء وإخفاء الحقائق والأسباب الحقيقية. وقد اتجهت التقارير الصهيونية التي تناولت هذه الحوادث إلى:

- أ. المبالغة في حجمها وتضخيم عدد ضحاياها. (مقالة الجويش كرونيكل بشأن اضطرابات ٤ / ١١ / ١٩٤٥).
- ب. إرجاع هذه الحوادث إلى وجود عناصر عربية معادية لليهود، ومرتبطة بعلاقات مع الأنظمة النازية والفاشستية السابقة، وصلت حديثاً إلى طرابلس ودول أخرى في شمال إفريقيا، وادّعاء أن القلاقل الأخيرة التي تسببت في قتل اليهود وتدمير ممتلكاتهم تمت في الواقع بتحريض من هذه العناصر وتحت إشرافها (مراسلة السكرتير السياسي للمجلس اليهودي العالمي التي سلفت الإشارة إليها).
- ج. اتهام سلطات الإدارة البريطانية في ليبيا بالتواطؤ مع المواطنين العرب (!؟) "وذلك من خلال قيام رؤساء الطائفة اليهودية في ليبيا بإصدار سلسلة من البيانات ضدّ السلطات البريطانية واتهامها بالتقاعس والتباطؤ في إرسال قوات الأمن لحماية اليهود وممتلكاتهم، وعدم إظهار الشدّة في معاملتهم للمشاركين في أعمال الشغب". (تقرير القنصل البريطاني في طرابلس بشأن الاضطرابات التي اندلعت عصر يوم السبت

١٢/٦/١٩٤٨).^{٢٤}

د. اتهام رجال الشرطة العرب/المسلمين من قبل الطائفة اليهودية بالفشل في تأدية واجباتهم يومي ١٢ - ١٣ /٦/ ١٩٤٨ والزعم بأنهم وقفوا مكتوفي الأيدي حينما قامت الغوغاء بأعمال السرقة والقتل والحريق (ملحق لتقرير الشرطة عن اضطرابات ١٢/٦/١٩٤٨ أعدّه الكولونيل أ. سوندرز المدير العام للشرطة بطرابلس).^{٢٥}

هـ. نشر وإبراق هذه الاتهامات إلى عدة جمعيات يهودية عالمية وعلى أوسع نطاق.

رابعاً: تضمّنت الوثائق السريّة للخارجية البريطانية عدداً من التقارير^{٢٦} التي بعث بها بعض مسؤولي الإدارة البريطانية في طرابلس، والتي كشفت واقع الأمر حول اضطرابات عامي ١٩٤٥، ١٩٤٨ وفندت كثيراً من مزاعم الدوائر اليهودية بشأن تلك الاضطرابات (يراجع على الخصوص تقرير دائرة الإعلام العامة الموجود في الملف 160/98 D وملحق تقرير الشرطة المعدّ من قبل الكولونيل أ. سوندرز المدير العام للشرطة، وتقرير القائد الأعلى للإدارة العسكرية البريطانية في طرابلس البريجادير ت. أر. بلاكلي المؤرخ في ٢٣/٦/١٩٤٨). ويمكن تلخيص أهمّ ما في هذه التقارير بالآتي:

١- لا صحّة لوجود أي دليل على مؤثرات منظمة من الخارج كانت وراء اضطرابات ١٩٤٥، وخصوصاً مؤثرات يمكن ربطها بمصادر نازية وفاشستية. وقد جاء ذلك الانفجار (الاضطرابات) كردّ فعل تلقائي لهيجان مماثل في مصر بسبب الوضع في فلسطين (كانت قد قامت

٢٤ راجع الحلقة الثانية من مقالة بن غلبون.

٢٥ الحلقة الثالثة من مقالة بن غلبون.

٢٦ أشار إليها بن غلبون في مقالاته الآتية الذكر.

في مصر وبقية البلاد العربية يومي ٢، ٣ نوفمبر ١٩٤٥ احتجاجات ومظاهرات صاحبة احتجاجاً على وعد بلفور).

٢- أنه لا صحة للاتهامات اليهودية لسلطات الإدارة البريطانية في ليبيا بالتواطؤ وبالتآمر مع السكان العرب في الأحداث التي وقعت يوم ١٢/٦/١٩٤٨ واستمرت لعدة ساعات (تساءل القنصل البريطاني في تقريره، ما الفائدة التي تجنيها بريطانيا من إشاعة الاضطرابات العنصرية في ليبيا؟) [لا يستبعد بالطبع أن تكون بعض العناصر اليهودية في الإدارة البريطانية في طرابلس قد قامت بذلك فعلاً، أو ساهمت فيه خدمة للمخطط الصهيوني الكبير الذي يهدف إلى تهجير يهود العالم إلى إسرائيل].

٣- أن العلاقات بين العرب واليهود في طرابلس كانت طبيعية (قبل وقوع تلك الاضطرابات) على الرغم من وجود توتر بين أعضاء الطائفة لمخاوفهم من ردود فعل العرب ضدهم لما يجري في فلسطين، ولكن لم تكن هناك أية شواهد تؤيد مثل هذه الشكوك أو تشير إلى تصلب شعور العرب في المدينة.

٤- ثمنت التقارير موقف رجال الأمن والشرطة المسلمين عالياً ووصفت أداءهم لواجبهم خلال تلك الاضطرابات بالأمانة والإنسانية والفاعلية، كما شجبت هذه التقارير موقف رؤساء الطائفة اليهودية في ليبيا خلال تلك الاضطرابات والذي تمثل في "إرسال موجات الاستغاثة وإعطاء المعلومات غير الصحيحة وبث إشاعات تجدد أعمال الشغب..."، كما ورد في أحد هذه التقارير (تقرير الكولونيل سوندرز) عبارة صارخة جاء فيها:

"إنه لمن المؤسف حقاً أن يتبع رؤساء الطائفة [اليهودية] الأسلوب الذي اتبعه يهود فلسطين خلال الثلاثين سنة الماضية بوضع العراقيل في وجه المسؤولين عن الأمن... " "ولو كان هناك شخص واحد في اللجنة

[لجنة الطائفة اليهودية] يتحلى بقوة الإرادة والعدل والرزانة في الأمور، لبث شعور الثقة بين أفراد الطائفة، لخفف من متاعب رجال الأمن الذين حاولوا السيطرة على الوضع، لكن مساعيهم [رجال الأمن] كانت تتعرض باستمرار للتشيط من قبل رؤساء الطائفة اليهودية ."

٥- عزت تلك التقارير أحداث الثاني من يونيو ١٩٤٨ إلى وجود ما بين (٤٠٠) و (٥٠٠) **متطوع تونسي** كانوا يقيمون في المدينة القديمة بطرابلس في تلك الآونة وكانوا يأملون بمواصلة رحلتهم إلى فلسطين، ولا يرغبون في العودة إلى المناطق الخاضعة للحكم الفرنسي التي كانوا قد تسللوا منها سراً، وقد سيطر الهيجان على هؤلاء المتطوعين بسبب صدور قرارات جديدة من السلطات المصرية تفيد بعدم حاجتها إلى مزيد من المتطوعين، الأمر الذي يعني وجوب عودتهم من حيث أتوا. وتعزو تلك التقارير اندلاع الاضطرابات إلى وجود هؤلاء الزائرين الساخطين واحتكاكهم بالشبيبة اليهودية التي أصبحت مشبعة بالأفكار الصهيونية، فضلاً عن تأزم الوضع الاقتصادي المحلي الذي جلب لمدينة طرابلس أعداداً كبيرة من العاطلين الذين يبحثون عن عمل.

٦- أكدت تلك التقارير أن **الأفكار الصهيونية** أخذت تزداد تدريجياً بين شبيبة الطائفة اليهودية في ليبيا، وأنه من الأمور التي ساعدت على ذلك تعيين **الحاخام يبلوز** من فلسطين كرئيس للحاخامات عام ١٩٤٧ (وهو من مواليد الجزائر ويحمل جنسية فلسطينية). (تقرير البريجادير ت. أر. بلاكلي المؤرخ في ٢٣/٦/١٩٤٨).

٧- أشارت تلك التقارير إلى ما لاحظته رجال الإدارة البريطانية في طرابلس أثناء تلك الاضطرابات بشأن وسائل الدفاع التي اتخذها اليهود خلالها، فقد لاحظوا وجود دلائل تشير إلى **تحضيرات مسبقة**، كحوادث رمي القنابل اليدوية من سطوح المنازل (اليهودية) وإطلاق الرصاص بين الحين والآخر، فضلاً عن وجود كتابات بالعبرية على الجدران تقول "لابأس أن يموت الإنسان في سبيل وطنه". (التقرير السابق)

٨- أشار أحد هذه التقارير إلى أن أعداداً من العصابات اليهودية الصغيرة قامت بتهديد التجار اليهود، الذين قاموا بفتح متاجرهم في المدينة الجديدة فور عودة الأحوال إلى وضعها الطبيعي، وأجبرتهم على غلق تلك المتاجر. ونقل التقرير ذاته عن القنصل الفرنسي في طرابلس "أن روح العريضة تسود بين اليهود الذين يتمتعون بالحماية الفرنسية".

وأياً ما كانت أسباب تلك الاضطرابات، وأهداف مثيريها، فقد شهدت الفترة منذ قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ ازدياد هجرة اليهود الليبيين إلى فلسطين المحتلة، وكانت هذه الهجرة في الغالب قاصرة على فقراء اليهود، وبلغ عدد المهاجرين منهم في الفترة ما بين ١٥/٥/١٩٤٨ وأواخر ديسمبر ١٩٥١ نحو (٣٠٩٤٢) يهودياً وبمرور الوقت تركز اليهود الباقون في ليبيا في مدينتي طرابلس وبنغازي بعد أن انسحبوا من بقية المدن الليبية.

○ فكرة توطين اليهود في ليبيا من جديد^{٢٧} (بعد نهاية الحرب العالمية الثانية)

رأينا في مبحث سابق^{٢٨} كيف ظهرت فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في برقة عام ١٩٠٨، وكيف انتهت تلك الفكرة بعدول "منظمة الأراضي اليهودية" عن تحقيقها، ومع ذلك فقد بقيت بذورها في أدمغة بعض رجالها فيما بعد.

ومن المؤكد أن الاحتلال الإيطالي لليبيا في عام ١٩١١ قضى على مشروع إنشاء الوطن اليهودي في ليبيا.

وكما هو معروف فقد كان من نتائج الحرب العالمية الثانية اندحار دول المحور، ومنها إيطاليا التي اضطرت إلى التنازل عن مستعمراتها، ومن بينها

٢٧ هذا المبحث مؤسس على ما ورد في "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" تحت عنوان "الفكرة من جديد"، ص ١٤١ - ١٤٦.

٢٨ راجع مبحث "مشروع ليبيا كوطن عربي لليهود" - "البعثة اليهودية إلى برقة - يوليو/ أغسطس ١٩٠٨".

ليبيا، في ٢٠ فبراير ١٩٤٧. غير أن خلافاً وانقساماً وقع بين دول الحلفاء بشأن تقرير مصير المستعمرات السابقة لإيطاليا، وكان هذا الخلاف أشد ما يكون حول ليبيا بسبب موقعها الجغرافي وأهميتها الإستراتيجية. وعقدت عدة مؤتمرات دولية للبحث في مصير تلك المستعمرات، وفشل وزراء خارجية الحلفاء في الوصول إلى حل لها بسبب تضارب المصالح الدولية.

في خضم هذا الصراع الذي ظهر حول تقرير مصير ليبيا، والوضع المتدهور في فلسطين بعد دخول القضية الفلسطينية دور الصراع العنيف بين أهلها وبين سيول المهاجرين اليهود، وجدت فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود في ليبيا فرصتها للظهور مرة أخرى. وكما جاءت الفكرة أولاً من جانب بريطانيا عندما اقترحها السير هاري جوهانستون اليهودي على "منظمة الأراضي اليهودية" في لندن، فقد جاءت الفكرة هذه المرة أيضاً من مسؤول بريطاني كبير له خطورته في تقرير الأحداث العالمية، بالنظر لخطورة منصبه وما كان يتمتع به من مكانة دولية، هو ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا^{٢٩}.

وقد أشارت إلى هذا الموضوع صحيفة "الأوبزرفر" البريطانية في عددها الصادر يوم ٧ / ٥ / ١٩٦١ تحت عنوان "وطن تشرشل لليهود" وكان من بين ما أوردته الصحيفة:

"إن المستر تشرشل (كما كان يعرف في ذلك الوقت) أخبر ستالين في مؤتمر بوتسدام Potsdam Conference أنه فكر في توطين اليهود المطرودين (من أوروبا) في المستعمرات الإيطالية السابقة. ولكن قادة اليهود الذين استشارهم في الموضوع لم يبدوا اهتمامهم".

وأضافت الصحيفة:

"لقد تم الكشف عن هذا الموضوع هذا اليوم (٦ / ٥ / ١٩٦١) حيث جرى الإفراج عن الوثائق السرية للخارجية الأمريكية المتعلقة بمؤتمر

٢٩ جاءت الفكرة هذه المرة من بريطانيا التي كانت تدعي يومذاك الصداقة لليبيا وأهلها.

بوتسدام وبالحديث الذي كان لستالين مع مبعوثي الولايات المتحدة الأمريكية المستر هاري هوبكنز Harry Hopkins والمستر أفريل هاريمان Averell Harriman .

ويورد مصطفى عبد الله بعيو في هذا الصدد:

" وبالرجوع إلى وثائق الخارجية الأمريكية التي أشارت إليها صحيفة "الأوبزرفر" وإلى محضر اللقاء السادس في مؤتمر بوتسدام الذي تم في الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد ٢٢ يوليو ١٩٤٥ والذي حضره عن الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس ترومان Truman ووزير خارجيته بيرنز Byrnes وبقية أعضاء الوفد الأمريكي، والمستر تشرشل رئيس Churchill رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيته إيدن Eden وبقية أعضاء الوفد البريطاني، والماريшал ستالين Stalin ووزير خارجيته المستر مولوتوف Molotov وبقية أعضاء الوفد الروسي، نجد المجتمعين ناقشوا موضوع المستعمرات الإيطالية السابقة وتقرير مصيرها". وأثار المستر تشرشل في هذه الجلسة موضوع إمكانية الاستفادة من إحدى المستعمرات الإيطالية السابقة كوطن لليهود، غير أن المحضر المنشور لم يشر إلى مستعمرة معينة لاختيارها وطناً لليهود. ولم يأت ذكر "ليبيا" صراحة في هذا الاختيار وإن كانت السوابق التاريخية تجعل من المرجح أن اتجه المستر تشرشل كان منصرفاً لاختيار ليبيا لهذا الغرض."

ويعلق بعيو على هذه المحاولة الجديدة:

"وهكذا كان من المحتمل إحياء فكرة الوطن القومي لليهود في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن الحركة الصهيونية كانت قد قطعت أشواطاً بعيدة في تحقيق أهدافها في فلسطين إثر الحصول على وعد بلفور الذي اتخذ منه اليهود أساساً لتحقيق أهدافهم في فلسطين بإعلان قيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨".^{٣٠}

٣٠. ذيل بعيو كتابه "المشروع الصهيوني لتوطين اليهود في ليبيا" بعبارة ختامية جاء فيها: "أخيراً بقي أن أقول إن الخطر الصهيوني على ليبيا لم ينته بعد. فالأطماع الصهيونية فيها =

○ مشاركة اليهود الليبيين في النشاط السياسي

لئن تركز نشاط اليهود في طرابلس وبنغازي، وبقية المناطق الليبية التي تواجدوا فيها خلال حقبة الإدارة البريطانية، على النشاط الاقتصادي من تجارة وزراعة، فإنهم - كما تفيد الوقائع - لم يتخلوا كلية عن المشاركة في الحراك والعمل السياسي الذي شهدته تلك الحقبة. وعلى الرغم من أنه كانت لليهود نواديهم الاجتماعية والرياضية الخاصة، فمن الواضح أنهم آثروا، فيما يتعلق بالقضايا السياسية المحلية، الاندماج في الهيئات والأحزاب الوطنية والتعبير من خلالها.

ففي إقليم برقة شارك عدد من يهود بنغازي ودرنة في نشاط جمعية عمر المختار، وجرى انتخاب أحدهم (خموس حيون) عضواً بالهيئة العاملة للجمعية في مدينة درنة يوم ١٧ / ٥ / ١٩٤٤،^{٣١} كما ضمت "رابطة الشباب الليبي" ببنغازي بين أعضائها عدداً من أبناء الطائفة اليهودية بالمدينة. أما "الجبهة الوطنية البرقاوية" التي تشكلت عام ١٩٤٦ فقد ضمت ممثلاً عن اليهود، وتكرر الأمر ذاته عند تأسيس "المؤتمر الوطني البرقاوي" في يناير ١٩٤٨ واختير عضو المؤتمر ريناتو تشوبه (يهودي) عضواً في المجلس الإداري للمؤتمر. كما ضم البرلمان البرقاوي الذي انعقد لأول مرة في ١٢ يناير ١٩٥٠

= ما زالت قائمة وإن اتخذت شكلاً آخر. والمطلع على أوراق الطائفة اليهودية في مدينة طرابلس يجد الكثير من الوثائق التي كانت تربط الجالية اليهودية في طرابلس بإسرائيل، وكيف كانت الطائفة اليهودية تتلقى التعليمات من إسرائيل بإشراك الشخصيات الليبية في نشاط رجال الأعمال من اليهود لضمان سلامة نشاطهم وتحقيق الأرباح المطلوبة . . . وعلى أبناء ليبيا بالذات أن يحتاطوا لها (الأطماع الصهيونية) بالعمل الجدي وتجنب الخلافات والمزالق التي تعرضهم للضعف وسهولة الابتلاع، فالأوضاع السياسية والمصالح الدولية عرضة للتغيير من وقت لآخر، وما يصعب تحقيقه الآن قد يسهل تنفيذه في وقت آخر والعكس صحيح. فعلى أبناء ليبيا أن يعوا هذا القول جيداً وأن يأخذوا الأمور بجديتها حتى لا تكون البلاد فريسة لأطماع الصهاينة التي لا تعرف حدوداً ولا قيوداً. " مصدر سابق، ص ١٤٦.

٣١ محمد بشير المغيربي "وثائق جمعية عمر المختار: صفحة من تاريخ ليبيا" (مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٣) ص ٣٣٤، ٣٣٥.

عضواً من الطائفة اليهودية جرى تعيينه بواسطة الأمير إدريس السنوسي. وأما في إقليم طرابلس فقد شارك يهودها في نشاط الهيئات والأحزاب السياسية التي تشكلت خلال الحقبة ذاتها. وعلى سبيل المثال فقد ضمت الجبهة الوطنية الطرابلسية المتحدة، التي تشكلت في ١٠ مايو ١٩٤٦ بزعامة (سالم المنتصر)، ممثلاً عن اليهود من عائلة حبيب.^{٣٢}

وعندما جرت محادثات في مدينة بنغازي يوم ١٨ يناير ١٩٤٧ بين ممثلين عن طرابلس وبرقة، من أجل تبادل وجهات النظر والمداولة والبحث فيما يخص القضية الليبية، كان ضمن أعضاء الوفد الطرابلسي العشرة اليهودي (إسحاق حبيب)، كما كان ضمن أعضاء الوفد البرقاوي المشاركون في تلك المحادثات يهودي آخر هو (ريناتو تشوبه)^{٣٣}.

○ موقف ليبي مبكر تجاه القضية الفلسطينية

عبر الليبيون بمختلف فئاتهم وفي شتى أقاليم بلادهم، منذ مرحلة مبكرة من ظهور القضية الفلسطينية وقيام الصراع الإسرائيلي، عن تأييدهم للشعب الفلسطيني ولقضيته. وقد أخذ هذا التأيد العديد من الأشكال، من بينها:

- (١) الكتابة في الصحف المحلية حول القضية، والتنديد بالجرائم التي يرتكبها اليهود ضد شعب فلسطين، وشجب قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين.
- (٢) تسيير المظاهرات والمسيرات الاحتجاجية في شتى المدن الليبية.
- (٣) فتح مكاتب التطوع للجهاد من أجل إنقاذ فلسطين.
- (٤) إرسال المذكرات والبرقيات إلى مختلف الهيئات العربية والمنظمات الدولية.

٣٢ "ذكريات وخواطر مصطفى فوزي السراج" (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس) ص ٣٤٨.

٣٣ المغيربي، مصدر سابق، ص ٢٢، ٢٣.

يقول مصطفى فوزي السراج:

"وبمناسبة فلسطين أذكر أن أخي نجاتي تحمّس وانضم إلى معسكر في منطقة القره بولي تحت إشراف أحد أفراد عائلة العاشق صرمان، ولا أعرف بتكليف مَنْ، وذلك بغرض التطوع والجهاد في فلسطين وتخليصها، ولكن لم تتمكن مجموعات المتطوعين من تحقيق أحلامها. حيث اتضح أن فلسطين لا تحتاج إلى الرجال وإنما هي بحاجة إلى المال والسلاح، فصارت تجمع التبرعات".^{٣٤}

أما المغيربي فيشير إلى أنه ورد بالعدد رقم (١٣٥) من صحيفة "الوطن" بينغازي بتاريخ ١٩٤٨/٨/٣ تحت عنوان "من جنود عمر المختار" حديث عن شباب عمر المختار المتطوع لنصرة فلسطين، أفاد أن المركز العام للجمعية تلقى رسائل عديدة من أولئك الشباب الذين يعملون في الكتائب الليبية المرابطة حينذاك في مختلف ميادين القتال، وأن عدداً من هؤلاء المتطوعين أصيبوا بجراح خلال المعارك التي شاركوا فيها. وأوردت الصحيفة أسماء عدد منهم هم الملازم ثان أحمد الفرجاني (أول من تطوع من شمال إفريقيا وقائد فرقة الكوماندوس الليبية) - علي البراني - رجب الفلاح - علي بوهادي - عبد الفتاح بشون - فتحي طلوبة - حسن النيهوم - فرج بودراع - ونيس بودراع - الصديق بن هلموم - محمد بعيو (الكوالير) - مهدي بن عيسى - إدريس العيساوي^{٣٥} - بو بكر البكوش - عمر شلوف - عوض العوج - السنوسي الكيش - علي درميش - مصطفى السنغاز - علي المغيربي - عبد الخالق الصابري - الفرجاني منينة.

ولم يقتصر الأمر على مواقف الأفراد والجمعيات الأهلية بل شمل الهيئات الرسمية الوليدة يومذاك، كالمجلس التشريعي البرقاوي. فقد حدث أن

٣٤ "ذكريات وخواطر مصطفى فوزي السراج"، مصدر سابق، ص ٣٤١، ٣٤٢.

٣٥ كان من الذين جرحوا في المعارك فوق أرض فلسطين، وصار فيما بعد ضابطاً كبيراً بالجيش الليبي بعد قيام دولة الاستقلال وتولى منصب نائب رئيس الأركان عام ١٩٦٢ قبل أن يلقي مصرعه على يد مجهول في ديسمبر ذلك العام.

أثار النائب مصطفى بن عامر (من بنغازي) موضوع المفاوضات التي كانت الحكومة تجريها يومذاك مع إسرائيل لعقد اتفاق تجاري معها. وقد أبلغ النائب بن عامر الحكومة أنه ضمن تأييد أغلبية المجلس، وذلك بواسطة عريضة تحمل توقيعات تلك الأغلبية، وهو ما أدى برئيس الوزراء محمد الساقزلي إلى تأجيل الدورة الثانية للمجلس المقررة في إبريل ١٩٥١ ثم إرجائها إلى أجل غير مسمى.^{٣٦}

○ في الطريق إلى استقلال ليبيا

شهدت الفترة التي سبقت وتلت صدور قرار الأمم المتحدة في ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ باستقلال ليبيا؛ حضوراً واضحاً لأبناء الطائفة اليهودية على مسرح الأحداث السياسية.

فعندما وصلت "لجنة التحقيق الرباعية" إلى ليبيا في ٦ مارس ١٩٤٨ للتعرف على رغبات السكان الحقيقية بشأن مستقبل بلادهم، انضم يهود طرابلس إلى مطالب الجمهور الطرابلسي المتمثلة في المطالبة بالاستقلال، ورفض الحكم الأجنبي،^{٣٧} والوحدة، والانضمام إلى الجامعة العربية.^{٣٨}

وعندما شرعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في مناقشة القضية الليبية خلال دورتها الثالثة - القسم الثاني؛ التي انعقدت في ليك سكسيس في إبريل ١٩٤٩ كان من بين الوفود التي استمعت إلى شهادتها اللجنة الأولى المختصة (لجنة السياسة والأمن) وفد يمثل الطائفة اليهودية في ليبيا. وقد أدى الوفد (مثل بقية الوفود الأخرى) شهادة شفوية، ثم عززها ببيانات مكتوبة، ولم تخرج شهادة وفد الطائفة اليهودية عن شهادات بقية الوفود الليبية الأخرى التي

٣٦ راجع مجيد خدوري "ليبيا الحديثة: دراسة في تطورها السياسي" ترجمة نقولا زيادة (دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦) ص ٩٦. ئي. آ. ف. دي كاندول "الملك إدريس عاهل ليبيا: حياته وعصره" (نشر خاص - محمد بن غلبون، مانشستر، ١٩٨٩) ص ١١٢.

٣٧ خدوري، مصدر سابق، ١٤٣ - ١٤٧.

٣٨ آمال السبكي "استقلال ليبيا بين الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية (١٩٤٣ - ١٩٥٢) (مكتبة المدبولي، القاهرة، ١٩٩١) ص ٣١.

تمثلت في المطالبة بالاستقلال والوحدة.^{٣٩} كما تكرر الأمر نفسه عندما عادت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى مناقشة القضية الليبية في دورتها الرابعة التي أصدرت خلالها قرارها في ٢١/١١/١٩٤٩ بمنح ليبيا استقلالها.^{٤٠} وعندما شُرع في تنفيذ خطة العمل التي أوصى بها مندوب الأمم المتحدة في ليبيا المستر إدريان بلت لوضع الفقرة الثالثة من قرار الأمم المتحدة موضع التنفيذ، والتي تنص على أن يقوم ممثلو الشعب الليبي بوضع الدستور، كانت الخطوة الأولى في تلك الخطة هي تشكيل "اللجنة التحضيرية" التي تتكون من (٢١) عضواً بمعدل سبعة أعضاء من كل إقليم. وتشير الوقائع إلى أن زعماء الأحزاب الطرابلسية قبلوا - بعد مفاوضات - أن يضموا إيطاليا ويهودياً في عداد ممثلي إقليم طرابلس السبعة في اللجنة التحضيرية، غير أن هذه الفكرة لم تلق قبولاً لدى كل من الأمير إدريس والسيد أحمد سيف النصر. وقد انتهى الأمر بأن خلت اللجنة التحضيرية من أي عضو من الأقلية الإيطالية أو اليهود.^{٤١}

أما بالنسبة لعضوية الجمعية الوطنية التأسيسية فقد أصدرت اللجنة التحضيرية قراراً بالإجماع يقضي بأن تتألف الجمعية الوطنية من ستين عضواً بمعدل (٢٠) عضواً لكل من المناطق الثلاث، برقة وطرابلس وفزان، وأن لا يسمح للأقليات غير الوطنية أن تشترك في الجمعية الوطنية أو تمثل فيها، على أنه ثمة رغبة أصيلة وشعوراً عاماً بأن جميع الحقوق المدنية والدينية والاجتماعية للأقليات سيضمنها دستور ليبيا المقبل.^{٤٢}

٣٩ خدوري، مصدر سابق، ص ١٥٠.

٤٠ المصدر نفسه، ص ١٥٧.

٤١ المصدر نفسه، ص ١٦٨، ١٦٩، والسبكي، مصدر سابق، ص ٩٢-٩٤.

٤٢ وهو ما حدث فعلاً راجع المواد (٢١)، (٢٤)، (١٩٠)، (١٩١)، (١٩٢).

في ظل دولة الاستقلال

(منذ ٢٤ ديسمبر ١٩٥١)

عندما حصلت ليبيا على استقلالها في الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩٥١، وأصبح الأمير محمد إدريس السنوسي ملكاً عليها، كان عدد اليهود المقيمين في ليبيا لا يزيد عن (٤٠٠٠) نسمة، يقطن منهم نحو (٣٠٠) يهودي في مدينة بنغازي بينما يقيم بقيتهم في مدينة طرابلس، ويشغل غالبيتهم بالتجارة، فقد كانوا يسيطرون على نحو ٩٠٪ من حجم تجارة البلاد.^{٤٣} وكما رأينا فقد ظلّ اليهود في ليبيا وعلى امتداد قرون، ينعمون بعلاقات طيبة مع بقية سكان ليبيا حكاماً ومحكومين، ولم يقطع ذلك التاريخ الممتد من العلاقات الحميمة بين العرب المسلمين واليهود إلا بعض المواقف والحوادث العارضة التي لم تحل دون أن يتواصل ذلك التاريخ بطابعه الإنساني الطيّب.

وعلى الرغم من موقف الطائفة اليهودية في ليبيا الممالي والمتعاون مع قوات الاحتلال الإيطالي (منذ خريف عام ١٩١١ وإلى أواخر الثلاثينيات) ومحابة رجال الإدارة البريطانية في طرابلس وبنغازي (١٩٤٣ - ١٩٥١) لأبناء هذه الطائفة، فلا شك أن بقية الليبيين كانوا على استعداد (لأسباب كثيرة) لتجاوز هذه الصفحات المظلمة بما فيها من مواقف خيانية مشينة، وإسدال الستار على الذكريات المؤلمة لاضطرابات نوفمبر ١٩٤٥ ويونيو ١٩٤٨، بسبب ما عرف عن الليبيين من تسامح، وبخاصة مع وجود الملك إدريس

على رأس الدولة، وهو الذي عُرف - بشهادة المصادر اليهودية ذاتها - بأنه لم يكن في يوم من الأيام يحمل مشاعر عدائية ضد اليهود.

ولعله من المفارقات المؤسفة في تاريخ العهد الملكي أن يتزامن استقلال ليبيا مع حدثين هامين كانت لهما انعكاساتهما السلبية البعيدة على مسيرة ذلك العهد. هذان الحدثان هما:

١ - قيام دولة إسرائيل في مايو عام ١٩٤٨ (قبل حصول ليبيا على استقلالها بثلاث سنوات).

٢ - وقوع الانقلاب العسكري في مصر في يوليو عام ١٩٥٢ (بعد أقل من عام على حصول ليبيا على استقلالها).

فبصرف النظر عما يقدمه الصهاينة من مسوغات لإقامة دولتهم، وبصرف النظر عن الجرائم التي ارتكبوها في حق الشعب الفلسطيني وربما في حق الإنسانية جمعاء في سبيل إقامة هذه الدولة، وبعيداً عن كل الإنجازات التي يزعم هؤلاء أنهم حققوها لليهود العالم، فلا شك أن قيام دولة إسرائيل، وما جسّدته الأفكار الصهيونية التي تأسّست عليها، شكل "نداء" لمعظم يهود العالم المقيمين خارج تلك الدولة، بالتحول بولائهم نحو "أرض الميعاد" بدلاً من البلدان المقيمين بها، بل بدعوتهم الصريحة للهجرة إلى تلك الأرض. لا شك أن ذلك أفسد على أولئك اليهود - ومن بينهم اليهود المقيمون في ليبيا - "روح الولاء والارتباط" السابقة التي كانت تشدهم إلى تلك البلدان، وقد أدّى ذلك بالتالي إلى تأليب مواقف الحكومات والشعوب التي كان يقيم بها هؤلاء اليهود ضدهم، وبخاصّة بالنسبة للدول التي كانت تشدّها إلى فلسطين وللشعب الفلسطيني ومأساته (التي ارتبطت بقيام تلك الدولة) مشاعر خاصّة صاغها الدين والعقيدة والتاريخ والقومية، كالدولة الليبية الوليدة.

ومن جهة أخرى، وبصرف النظر عمّا حقّقه الناصرية من إنجازات على الأصعدة المحلية الوطنية والعربية القومية، فقد وجدت حكومات العهد

الملكي المتعاقبة نفسها، بسبب المدّ الناصري، أمام جملة من قوى الشد المتناقضة التي تتجاذبها. في جانب منها تقف مشاعرها الخاصة المناصرة والمنحازة أصلاً للقضية الفلسطينية، مع مشاعر محلية شعبية وطنية متأججة تدعو إلى نصره هذه القضية ودعمها، هي في الحقيقة امتداد وانعكاس لمشاعر عربية مهتاجة ملتهبة على امتداد العالم العربي، مع مقاومة فلسطينية وليدة تطلب الدعم وتنشد النصره بالمال وبكل شيء، كما تقف في جانب آخر منها مصالح أمن الدولة الليبية الوليدة، بل في أحيان مبكرة متطلبات وجودها وبقائها واستمرارها، ومن ورائها إملاءات ومطالب وشروط حلفائها. لقد دفعت هذه الحالة النظام الملكي في ليبيا إلى أن يتخذ - مثل غيره من بقية النظم العربية - جملة من المواقف والسياسات، الرسمية والشعبية، التي لم تخدم جوهر القضية الفلسطينية، ولكنها حُسبت - في الوقت ذاته - من قبل عدد من الأطراف الدولية، وفي مقدمتها إسرائيل، على الشعب الليبي وحكومته، واعتُبرت من قبيل "الحسابات المعلقة" معه التي ينبغي أن تُسوّى حين تحين ساعة قصاصها ودفْع ثمنها.

إدعاءات وشكاوى يهودية متواصلة

على الرغم مما تمتع به يهود ليبيا في ظلّ العهد الملكي من حرية وأمان، وما حققوه من مكاسب ومنافع مادية، بلغت إلى حدّ أن عدد العائلات اليهودية التي كانت تتلقى مساعدات مالية، باعتبار أنها فقيرة، لم يتجاوز أربعين عائلة، في حين أن نصف أبناء الطائفة كانوا يوصفون بأنهم على درجة طيبة من يسر الحال، والنصف الثاني كان في عداد "الأثرياء جداً"،^{٤٤} على الرغم من كل ذلك فإن المنظمات اليهودية والصهيونية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لم تكفّ، على امتداد سنوات العهد الملكي في ليبيا، عن تقديم الشكاوى وترديد المزاعم حول معاناة اليهود في ليبيا والاضطهاد الذي يعيشون في ظله.

وتحفظ الوثائق السريّة للخارجية الأمريكية والبريطانية، التي جرى الإفراج عنها والمتعلقة بتلك الحقبة، سילاً متواصلاً من التقارير والإدعاءات والشكاوى ضدّ حكومات العهد الملكي لم يتوقف في سنة من السنوات، وكانت من ورائه مجموعة من المنظمات اليهودية، من أهمّها:

1. Alliance Israélite Universelle
2. American Jewish Committee
3. World Jewish Congress

٤٤ "يهود في بلاد عربية - ليبيا... " مرجع سابق، ص ٢٦٩ ، (٢٧٠)،

4. The Board of Deputies of British Jews

وقد كان من بين ما لجأت إليه هذه المنظمات من أساليب، نشر وتعميم شكاواها وادعاءاتها بشأن ما تتعرض له حقوق يهود ليبيا من انتهاكات في ظل النظام الملكي، وذلك عن طريق:

(١) تزويد عدد من الصحف المعروفة بتقارير ومعلومات مغلوبة في هذا الشأن كانت وراء بعض المقالات والتقارير الصحفية التي ظهرت في هذه الصحف عبر السنوات والتي تتحدث عما يتعرض له اليهود في ليبيا من هضم لحقوقهم وإساءة في معاملتهم. من هذه الصحف على سبيل المثال الجويش كرونكل *Jewish Chronicle* والجويش أوبزرفر *Jewish Observer* البريطانيان ونيويورك تايمز *New York Times* الأمريكية.

ومن الأمثلة الحديثة على هذه المقالات ما نشرته صحيفة الهيرالد تريبيون في عددها الصادر يوم ١٠ / ٧ / ١٩٩٧ للمستر ديفيد أ. هاريس المدير التنفيذي لمنظمة *American Jewish Committee* بعنوان:

"How Libya's Jews Met a Little – Noticed End".

(٢) إثارة هذه الادعاءات عبر القنوات الدبلوماسية، وبخاصة مع سفارات كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في ليبيا، مستخدمة مجموعات الضغط اليهودية وأعضاء مجلس العموم البريطاني والكونجرس الأمريكي من اليهود أو المتعاطفين معهم.^{٤٥}

(٣) إثارة هذه الادعاءات والشكاوى مع المستر إدريان بلت مساعد السكرتير العام للأمم المتحدة، والمعروف بصلاته مع الملك إدريس ورجال الحكومة الليبية، والتهديد بإثارة هذه الادعاءات في محافل

الأمم المتحدة والأجهزة التابعة لها.^{٤٦}

(٤) اللجوء إلى شركات البترول الأجنبية (الأمريكية والأوروبية) العاملة في ليبيا، وحثها على ممارسة ضغوط على الحكومة الليبية بشأن معاملتها لليهود الليبيين، بل محاولة هذه المنظمات حث الحكومات الغربية على استخدام المساعدات المالية والاقتصادية التي تقدمها لليبيا كوسيلة للضغط عليها في هذا الشأن.^{٤٧}

وتتلخص شكاوى "يهود ليبيا" كما عبرت عنها هذه المنظمات اليهودية العالمية من خلال التقارير الصحفية ومكاتباتها مع الخارجية البريطانية والأمريكية، في التالي:

أ- الاضطهاد والتمييز في المعاملة ضد اليهود وحرمانهم من حق التصويت وتقلد المناصب السياسية العامة.

ب- حرمانهم من الحق في الحصول على "جوازات سفر" تسمح لهم بالسفر بحرية.

ج- حرمانهم من الاتصال المباشر بإسرائيل (بالبريد أو عن طريق السفر).

د- إغلاق "نادي المكابي" (المعروف بنشاطه الصهيوني) في طرابلس يوم ١٦/١٢/١٩٥٣.

هـ - شروع الحكومة الليبية منذ ٣٠/٣/١٩٥٧ في تطبيق قانون المقاطعة العربية الموحد لإسرائيل والصادر عن الجامعة العربية، وإنشاء مكتب المقاطعة في طرابلس وفرعين لهذا المكتب في بنغازي وسبها.

و- وضع قيود ومضايقات إجرائية بالنسبة لليهود الليبيين الذين يرغبون في الهجرة إلى إسرائيل.

٤٦ المصدر نفسه، ص ٢٧١.

٤٧ المصدر نفسه، ص ٢٧٠-٢٧٢.

ز- إصدار رئيس المجلس التنفيذي لولاية طرابلس بتاريخ ١٩٥٨/١٢/٣١ قراراً يقضي بحلّ "اللجنة الإدارية للطائفة اليهودية" (Jewish Administrative Commission) التي كانت قد تأسست بموجب قانون أصدرته سلطات الاحتلال الإيطالي عام ١٩٣١. [المرسوم الملكي رقم (٩٥٧) الصادر عن ملك إيطاليا عام ١٩٣١/٦/١٨ والمعدّل بموجب المرسوم (١٥٢٣) الصادر في ١٣/٥/١٩٣٥]. وقد قضى قرار رئيس المجلس التنفيذي المذكور بتعيين السيّد عمار ساسي عطية مفوضاً ووكيلاً عن هذه اللجنة الملغاة.

ح- قيام ناظر المعارف في ولاية طرابلس بإصدار قرار مؤرخ في ٧ إبريل ١٩٦٠ بإغلاق واحدة من المدارس الابتدائية العبرية الثلاث في طرابلس فوراً (Alliance Israélite Universelle).

ط- إصدار الحكومة الليبية (حكومة محمد عثمان الصيد) في ٢١ مارس ١٩٦١ للقانون رقم (٦) لسنة ١٩٦١ الذي قضى بوضع الأموال والممتلكات الموجودة في ليبيا، والمملوكة لهيئات أو أشخاص مقيمين في إسرائيل أو منتمين إليها بجنسيتهم أو يعملون لحسابها، تحت الحراسة. بل لقد ذهبت بعض المنظمات اليهودية العالمية مثل منظمة (The Board of Deputies of British Jewish) إلى حدّ الادّعاء بأن الحكومة الليبية تؤوي بعض النازيين السابقين الفارين من ألمانيا، وأنها، أي الحكومة الليبية، أسندت إلى هؤلاء النازيين رسم سياستها تجاه اليهود. وقد أوردت هذه المنظمات أسماء خمسة من النازيين السابقين زعمت أنهم مقيمون في ليبيا وهم:^{٤٨}

- Dr Hans Eisle
- Bernard Bender

٤٨ راجع رسالة السير بارنت جانر (Sir Barnett Janner) رئيس المنظمة البريطانية السابقة الذكر (B.D.B.J) إلى وكيل الخارجية البريطانية المستر بيتر توماس المؤرخة في ٢٢/٢/١٩٦٢ والموجودة بالملف FO 371/16576. ودي فيليتيشي، مصدر سابق، ص ٢٧١.

- Hans Adler
- Dr Heinrich Willerman
- Ludwig Zind

بل لقد أعطى السير بارنت لنفسه، في رسالته الآنف الذكر، الحق في الاحتجاج على وجود عدد من المدرسين المصريين في ليبيا، والذين يقومون - حسب زعمه - بتلقين طلبتهم دعاية ضد بريطانيا وضد اليهود. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى حقيقتين هامتين:

الحقيقة الأولى

أن عدداً من موظفي السفارتين البريطانية والأمريكية في ليبيا حاولوا، على امتداد السنوات، التصديّ للادّعاءات التي وردت على لسان مسؤولي المنظمات اليهودية العالمية والردّ عليها. وقد حرصت التقارير التي بعث بها هؤلاء الدبلوماسيون على:

- ١- دحض هذه الادّعاءات وكشف ما فيها من مبالغة وزيف.
 - ٢- الدعوة إلى التمييز بين موقف الحكومة الليبية تجاه "دولة إسرائيل" وبين موقفها تجاه الطائفة اليهودية المقيمة في ليبيا.
 - ٣- بيان أن أفراد الطائفة اليهودية لا يوافقون هذه المنظمات بشأن ما تدّعيه حول المعاملة السيئة التي يتعرّضون لها في ليبيا، وأنهم يفضلون عدم تدخل هذه المنظمات في شؤونهم.
- وعلى سبيل المثال، فقد أكدت هذه التقارير، فضلاً عما سبق، أن أهم الأراضي والأماكن العقارية في ليبيا مملوكة لليهود، كما أكدت عدم صحة الادعاءات بأن الهر Zind يقوم بالتدريس بموجب عقد مع الحكومة الليبية في كلية الدراسات الفنية العليا بطرابلس.

- ويراجع في هذا الصدد الرسالة المبعوثة من قبل المستر أوجدن F. Ogden من السفارة البريطانية في ليبيا بتاريخ ١٩٥٩/٤/٨

والموجودة بالملف FO138/789371 والرسالة المبعوثة من المستر (D. C. Carden) من السفارة البريطانية في ليبيا المؤرخة في ٤ / ١ / ١٩٦١ و ٣١ / ٣ / ١٩٦٢ والمحفوظة بالملف FO 371 / 165768 .

- كما يمكن مراجعة عددٍ من التقارير والبرقيات المرسلة من السفارة الأمريكية في طرابلس، والتي تناولت بالتعليق ادّعاءات ومزاعم الجمعية اليهودية العالمية، من أهمّها:
- التقرير رقم (١٨٩) المؤرَّخ في ٣١ / ١ / ١٩٥٩ المرسل من السفارة بتوقيع المستشار J. Paul Barringer (الملف المركزي ١ / ١ . . . ٧٧٣ - ١٣٥٩).
- البرقية رقم (٤١٦) المؤرَّخة في ١٧ / ١ / ١٩٥٩ ، مرسلة من السفير جونز.
- التقرير رقم (١١٠) المؤرَّخ في ١٧ / ٢ / ١٩٦٢ بعنوان " معاملة اليهود في ليبيا"، في أربع صفحات، مرسل من السفارة الأمريكية بطرابلس بتوقيع المستشار John Dorman (الملف المركزي رقم ١٧٦٢ / ٢ . ٤١١ - ٨٧٣).

الحقيقة الثانية

إن أبناء الطائفة اليهودية أنفسهم في ليبيا لم يكونوا يوافقون هذه المنظمات اليهودية العالمية فيما ذهبت إليه من وصفٍ لأحوالهم وأوضاعهم في ظلّ النظام الملكي الليبي، وكانوا يفضلون عدم تدخل هذه المنظمات في شؤونهم. وليس أدلّ على ذلك من أن دي فيليتشى يورد في كتابه،^{٤٩} أن اللجنة الخماسية التي شكلتها الطائفة اليهودية في ليبيا قدّمت إلى حكومة السيّد محمد عثمان الصيد مذكرة بتاريخ ١٩٦١/٦/١ ضمّنتها مطالب الطائفة في تلك الفترة، وهي المطالب التي لم تتجاوز:

- ١- الاعتراف بحق الجنسية لكافة اليهود المولودين والمقيمين في ليبيا والذين ليس لهم جنسية أخرى .
- ٢- السماح لليهود بأن يديروا بشكل مباشر مؤسساتهم الدينية والخيرية .
- ٣- السماح بإعادة المحاكم الحاخامية لسابق عملها .
- ٤- الإذن للطائفة بأن تستجلب من الخارج حاخاماً ومدرسين وكتباً مدرسية تحتاجها المدارس اليهودية .

كما يكشف دي فيليتيشي^{٥٠} أنه منذ صدور قرار الحكومة الليبية (حكومة السيد محمد عثمان الصيد) بتاريخ ٨ / ٨ / ١٩٦٢ الذي اعترف بحق اليهود المولودين في ليبيا والمقيمين فيها، والذين لا يملكون جنسية أخرى، في التمتع بالجنسية الليبية، فقد طرأ تحسن كبير على أوضاع يهود ليبيا. كما يؤكد أن السنوات الخمس التي تلت قرار الحكومة الليبية المذكور كانت سنوات استقرار وهدوء بالنسبة لليهود ليبيا استطاعوا خلالها أن يحققوا الكثير من المنافع والمكاسب المادية لأنفسهم، وبخاصة في مجال صناعة البترول. وقد تواصل هذا الوضع الآمن والمواتي لليهود إلى ما قبل أحداث أزمة يونيو ١٩٦٧ بأشهر قليلة، وهو الأمر الذي يفسّر في نظره كيف ولم أخذت تلك الأحداث يهود ليبيا على غرة.

اهتمام إسرائيلي بالتطورات في ليبيا

توجد وثائق سرّية عديدة ضمن الأرشيف السري لوزارة الخارجية الأمريكية تدل على متابعة إسرائيل للتطورات السياسية في ليبيا الملكية واهتمامها بتلك التطورات. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في " مذكرة المحادثة " لما دار أثناء غداء عمل جرى يوم ٨ / ٤ / ١٩٦٤ بين المستر هانان بارون (Hanan Bar-on) المستشار بالسفارة الإسرائيلية في واشنطن والمستر ديفيد نيوسوم (الذي كان يشغل يومذاك منصب مدير إدارة شمال إفريقيا بوزارة الخارجية الأمريكية). ويتبين من محتويات تلك المذكرة أن المستشار الإسرائيلي سأل جليسه الأمريكي عن الأوضاع في ليبيا، وعمّا تزمع الولايات المتحدة القيام به في مواجهة تهجمات عبد الناصر على قاعدة الملاحة.

وقد ردّ المستر نيوسوم على سائله الإسرائيلي بأنه على الرغم من أن خطاب عبد الناصر الذي ألقاه في ٢٢ فبراير ١٩٦٤ كان له دون شك بعض التأثير في تحريك الوضع في ليبيا^{٥١} غير أن المشكلة تكمن في عوامل داخلية بقدر ما ترجع إلى عوامل خارجية. ثم استطرد نيوسوم موضحاً لمحدثه الإسرائيلي أن هناك قوى جديدة أصبح لها حضور في البلاد، فضلاً عن أن هناك يقظة للروح الوطنية فيها. كما أن جزءاً من المشكلة يرجع إلى

٥١ كان نيوسوم يشير إلى مظاهرات الطلبة التي وقعت في شهر يناير ١٩٦٤ وأدت إلى مقتل عدد منهم، وإلى طلب ليبيا من أمريكا الدخول في محادثات حول جلاء القوات الأمريكية عن قواعدها في ليبيا، وإلى استقالة الملك إدريس ثمّ عدوله عن تلك الاستقالة.

انشغال واهتمام ليبيا بإسرائيل، وهذا الاهتمام راجع في جزء منه للدعاية المصرية، كما يرجع في جزء منه إلى وجود كبير لفلسطينيين مقيمين في ليبيا، وإلى أن عدداً من الليبيين يهاجمون وجود أمريكا في القاعدة على أساس صداقتها لإسرائيل.

وتورد المذكرة أن المستر بارون عبّر عن دهشته لوجود مثل تلك المشاعر في ليبيا.

الدكتور هامر وشركة أوكسيدنتال

الدكتور أرماند هامر (Armand Hammer) من مواليد روسيا عام ١٨٩٨ ويفخر بأنه ينحدر من سلالة اليهود المكابي (Maccabes) وأن جدّه الأكبر كان يُدعى يهوذا المكابي (Judah Maccabes) الذي قاد إحدى ثورات اليهود. تخرج هامر طبيباً عام ١٩٢١، التقى بـ "لينين" عن طريق والده وعقد معه صفقات، فقد صار وكيلاً لسيارات "فورد" في روسيا، وامتلك امتياز أقلام الرصاص، وأقام محطات لتجارة الفراء السييري، وعندما وصل "ستالين" إلى السلطة هاجر مع والده (ذي الميول الشيوعية) إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن جمع جميع حاجياته من القطع الفنية الروسية التي باعها في أمريكا بملايين الدولارات. أقام علاقات مع قادة إسرائيل وزارها عدّة مرات، وكان على معرفة واتصال بالرئيس الراحل عبد الناصر. كما عاد بعد موت ستالين إلى روسيا لعقد الصفقات أيام نيكيتا خروتشوف، وصار فيما بعد الواسطة بين جميع قادة الاتحاد السوفيتي الذين تعاقبوا على زعامته وبين سبعة من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن بمقدور أحد غيره الوصول مثله إلى الكرملين.^{٥٢}

في يناير عام ١٩٦١ قام هامر بتأسيس شركة أوكسيدنتال ليبيا بهدف تطوير الشركة الأم التي كان قد اشتراها مفلسة (لأغراض التهريب من الضريبة).

52 Armand Hammer and Neil Lyndon, *Hammer* (Perigee Book, New York, 1988).

وفي العام نفسه قام هامر بزيارة لليبيا (يلاحظ أنه العام نفسه الذي تشكلت فيه لجنة من خمسة من قادة اليهود في ليبيا، وقدمت عريضة مطالب إلى حكومة عثمان الصيد ١/٦/١٩٦١ وسعت إلى مقابلة الملك إدريس). وقد حاول هامر خلال تلك الزيارة الحصول على امتيازات للتنقيب عن البترول في ليبيا عبر وساطة الطاهر العقبي (الذي كان قد شغل لعدة سنوات منصب رئيس المجلس التشريعي لولاية طرابلس، ومنصب وزير العمل والشؤون الاجتماعية، والمعروف بتأييده لولي العهد الحسن الرضا السنوسي. ولا يوجد ما يدل على كيفية نشأة الصلة ما بين العقبي وهامر) غير أن هذه المحاولات باءت بالفشل هذه المرة.

في عام ١٩٦٤ جدد هامر مساعيه للحصول على امتيازات للتنقيب عن البترول في ليبيا، غير أنه لم يقدر لتلك المساعي أن تنجح إلا في فبراير ١٩٦٦ عندما فازت شركته "أوكسيدنتال ليبيا" بالامتيازين (١٠٢) و(١٠٣) وسط منافسة ضد (١١٩) شركة أمريكية وأوروبية ويابانية، إلا أن من الملاحظ أن هامر لم يكن يعتمد على مساعي العقبي فقط، ولكن أيضاً على وساطة عمر إبراهيم الشلحي (شقيق العقيد عبد العزيز الشلحي) واللذين كانا مقربين من الملك إدريس.

لم يشر هامر في مذكراته من قريب أو بعيد إلى صلته بعمر الشلحي، إلا أن هذا الأخير نفسه أشار إلى هذه الصلة خلال المقابلة التي أجراها معه معدو الشريط الوثائقي المؤسس على كتاب *The Prize* "الجائزة"^{٥٣} وكيف أن أحد أصدقائه من رجال الأعمال قدم إليه المستر هامر الذي قال له ما نصّه "سأجعل منك يا عمر أغنى رجل في أوروبا".

أما مؤلف كتاب *Ropes of Sand* "حبال من رمال" مندوب المخابرات المركزية الأمريكية السابق المستر إيفلاند (Wilbur C. Eveland) فيؤكد أن شركة أوكسيدنتال حصلت على عقدي الامتياز المذكورين بمساعدة

53 Daniel Yergin, *The Prize* (Simon & Schuster, New York, 1991).

عمر الشلحي في مقابل أن تدفع له الشركة ما قيمته (٣) سنت عن كل برميل تنتجه. أما رجل الأعمال، الذي يشير إليه عمر الشلحي بأنه واسطة العلاقة بينه وبين هامر ولا يذكر اسمه، فمن المرجح أنه الإيراني "كمال زاده" الذي كان شريكاً لعمر الشلحي في مشروع مياه "عين الدبوسية" شمال شرق ليبيا (والذي كان هو الآخر مثار اتهامات كثيرة بالرشوة والفساد المالي خلال العهد الملكي).

اللافت للنظر أن دخول شركة أوكسيدنتال لمجال صناعة النفط في ليبيا لم يكن موضع ترحيب من بقية الشركات العاملة في ليبيا، وفقاً لما ذكره هامر نفسه في مذكراته، فهو ينسب إلى السفير الأمريكي في ليبيا آنذاك المستر ديفيد نيوسوم ما ترجمته:

"أعتقد أنه من الإنصاف القول بأن ظهور شركة أوكسيدنتال على المسرح في ليبيا لم يكن موضع ترحيب حارّ من قبل الشركات الأخرى". وإذا كنا نستبعد أن يكون ذلك بسبب نظرتهم إليها على أنها كانت بمثابة شركة البترول الوطنية لإسرائيل، فإنه من المرجح أن يكون السبب من وراء عدم الترحيب هو ما عرف عنها من اللجوء إلى أساليب "معوجة" في معاملاتها، سواء مع بقية الشركات أو مع الحكومة الليبية. فضلاً عن اعتبارات الغيرة والمنافسة الشديدة التي تطبع علاقات تلك الشركات. ^{٥٤}

وأياً ما كانت أسباب عدم ترحيب بقية شركات البترول العاملة في ليبيا بشركة أوكسيدنتال، فمن الثابت أن "حظوظها" في ليبيا كانت عالية وغير عادية:

- فخلال أقلّ من تسعة أشهر بعد حصولها على الامتياز النفطي رقم (١٠٢) (في شهر فبراير ١٩٦٦) نجحت في شهر نوفمبر من العام نفسه في حفر أكبر بئر منتجة للنفط في ليبيا.

- خلال أسابيع من بدء عمليات تنقيبها في منطقة الامتياز رقم (١٠٣)

في مارس ١٩٦٧ عثرت الشركة على النفط بكميات هائلة، فيما عرف فيما بعد بحقل إدريس الذي ضم أكبر بئر نفطية اكتشفت في ليبيا. (من الطريف والمثير أن منطقة الامتياز رقم (١٠٣) كانت قبل ذلك بحوزة شركة موبيل الأمريكية وتخلت عنها بسبب عدم اكتشافها للنفط فيها). وقد بلغ الاحتياطي النفطي تحت الأرض الذي بحوزة شركة أوكسيدنتال ٣ مليارات برميل أي ما يعادل ١/٣ مرة احتياطي البترول الذي عثر عليه خلال الفترة نفسها في منطقة "الاسكا".

• تمكن هامر بمساعدة صديقه المستر بكتل (Steve Bechtel) من بناء منظومة نقل وتكرير وتوزيع خاصة به وبعيدة عن سيطرة الشركات الكبيرة، ولم يحل السادس عشر من شهر فبراير ١٩٦٨ إلا وكان النفط الخام يتدفق من منطقة هذين الامتيازين (١٠٢) و (١٠٣) إلى ميناء الشحن النفطي في الزويتينة، حيث قام الملك إدريس نفسه بحضور حفل الافتتاح لذلك المشروع، كما كان السيناتور الأمريكي ألبرت آل جور Albert Al Gore (والد نائب الرئيس الأمريكي الأسبق) أحد الحاضرين في ذلك الحفل. ولم تمض أشهر قليلة حتى احتلت شركة أوكسيدنتال مركز ثاني أكبر شركة منتجة ومصدرة للنفط الخام في ليبيا. ومما زاد في حظوظ هذه الشركة في ليبيا قيام حرب يونيو ١٩٦٧ التي أدت إلى إغلاق قناة السويس، الأمر الذي زاد من أهمية النفط الليبي. (لعله من "المفارقات" اللافتة للنظر أن تتوجه شركة أوكسيدنتال للبحث عن امتيازات للنفط في ليبيا في فبراير ١٩٦٦ مع شروع إسرائيل في تحضيراتها لحرب يونيو/حزيران عام ١٩٦٧ إذ من المعروف أن هذه التحضيرات امتدت عدة سنوات سابقة على وقوعها).

• كان هامر قد ضمن العرض الذي تقدم به للحصول على امتياز النفط (١٠٢) و (١٠٣) مزايا إضافية جعلته (في نظر الحكومة

الليبية) يختلف عن بقية العروض التقليدية التي تقدّمت بها بقية الشركات الأخرى. وكان من بين هذه المزايا : " تعهد شركة أوكسيدنتال بالبحث والتنقيب عن المياه الجوفية دون مقابل " .

وقد زاد من أهمية هذا "العرض الخاص" أن التنقيب عن المياه كان سيتم في منطقة الكفرة حيث يوجد ضريح والد الملك السيّد المهدي السنوسي، وحيث عاش الملك طفولته وصباه، وحيث وُلدت الملكة فاطمة، وحيث ينوي الملك أن يقضي آخر أيامه ويعتزم أن يطلب الدفن فيها.

وبالفعل فقد اكتشفت الشركة ما بين ١٩٦٧ - ١٩٦٨ مخزوناً هائلاً من المياه الجوفية في منطقة "الكفرة والسرير" يوازي " تدفق نهر النيل على مدى ٢٠٠ عاماً" أو "حجم مياه جميع البحيرات العظمى"، كما قدّرت مصادر الشركة أن يكفي المخزون الجوفي من المياه لريّ مليون هكتار من الأراضي المزروعة لمدة (٨٠٠) سنة.

لقد أدّت هذه التطوّرات و "ضربات الحظ" المتلاحقة أن يصبح الدكتور هامر خلال أقلّ من عامين على دخول شركته لصناعة النفط في ليبيا:

○ قريباً من الملك إدريس السنوسي بسبب اهتمام الدكتور هامر بمنطقة الكفرة (مائياً وزراعياً) وهي المنطقة القريبة من قلب الملك.

○ قريباً من عمر الشلحي (وبالتالي من عائلة الشلحي) من خلال اتفاق "العمولة" السريّ بينهما وربّما من خلال صفقاتٍ سرّية أخرى.

○ قريباً من وليّ العهد عبر السيّد الطاهر العقبي الذي حافظ هامر على علاقةٍ خاصةٍ به امتدّت حتى أولاده وأسرته فيما بعد.

لا يوجد أدنى شكّ في أن شركة أوكسيدنتال ليبيا كانت من بين الشركات النفطية الكثيرة التي استطاع من خلالها يهود ليبيا تحقيق منافع ومكاسب مالية واقتصادية خلال الفترة التي سبقت حرب يونيو ١٩٦٧ وحتى تلك التي تلتها.

ومما يلفت النظر في تاريخ المستر هامر وعلاقته بالحالة الليبية أنه فجأة وبسرعة خاطفة جداً أصبح صديقاً مقرباً من الانقلابيين ومن العقيد القذافي شخصياً، حيث تكشف برقية سرّية مرسلة من وزير الخارجية الأمريكية روجرز (Rogers) مؤرخة في ١٧/٩/١٩٦٩ (تحمل الرقم الإشاري ١٥٧٥٧٩) إلى السفارة الأمريكية في ليبيا أن الدكتور هامر اتصل بالخارجية الأمريكية وعبر لها أنه قد يكون من المفضل أن يقيم في ليبيا احتفال رسمي بمناسبة الانتهاء من إنشاء "محطة تحلية المياه"^{٥٥} في مدينة أجدايا وتسليمه للحكومة الليبية الجديدة. وقد عبّر هامر عن استعداده لحضور هذا الاحتفال مع السيناتور آل جور (Al Gore)، وأنه على استعداد للمضي قدماً في اتخاذ الترتيبات في هذا الشأن إذا كان من رأي السفارة الأمريكية في ليبيا أن هذه الخطوة سوف تساعد في التعبير للنظام الجديد عن اعتراف الولايات المتحدة به وثقتها فيه.^{٥٦}

وسيتضح أن المستر هامر لعب في فترة لاحقة دوراً هاماً، ظاهره لصالح النظام الانقلابي، في موضوع زيادة أسعار النفط الخام الليبي، وفي صفقة شراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتي، وفي استثمارات النظام في شركة "الفيات" الإيطالية.

ومن الأمور التي لا تخلو من دلالة الإشارة التي وردت عرضاً في "مذكرة الحوار" السريّة المحفوظة في أرشيف وزارة الخارجية الأمريكية، والتي تتضمن تفاصيل ما دار من حوار بين المستر سودارت (Roscoe Suddarth) من الخارجية الأمريكية وبين كل من السيّد محمد عثمان الصيد (رئيس الوزراء الليبي خلال العهد الملكي) والسيّد خليفة موسى (آخر وزير للنفط في ليبيا

٥٥ كان مشروع تحلية المياه بالزويتينة بالقرب من مدينة أجدايا قد شرع في تنفيذه خلال العهد الملكي، وقد تصادف إتمام تنفيذ المشروع مع قيام انقلاب سبتمبر.

٥٦ لا يفوت القارئ أن هذه البرقية التي بعث بها الوزير الأمريكي إلى السفارة بليبيا أرسلت بتاريخ ١٧/٩/١٩٦٩ ويعني ذلك أن اتصال الدكتور هامر بالخارجية الأمريكية حول هذا الموضوع قد تمّ خلال مدة لا تتجاوز أسبوعين على وقوع الانقلاب.

الملكية) في أحد فنادق مدينة نيويورك يوم ٨ / ٤ / ١٩٧٠ . فقد جاء على لسان السيّد خليفة موسى خلال تلك المحادثة أنه كان قد قابل المستر هامر في اليوم السابق وأنه فهم من المستر هامر أنه سوف يلتقي مع المستر نيوسوم^{٥٧} خلال يومين في كاليفورنيا.

وكذلك الإشارة التي وردت في كتاب "أوراق الموساد المفقودة"^{٥٨} بشأن الدكتور هامر:

" . . . ولحسن الحظ أنه أثناء قيام الانقلاب لم يكن هناك ليبي واحد لديه الروح الكافية لمقاومة (المسرحية الهزلية) للثورة. إذ لو كانت هناك أي مقاومة لانهارت هذه الثورة وتحطمت بكل سهولة كبيت من ورق. وعليه فقد حبسنا أنفاسنا [يتكلم عن الموساد] لمدة أسبوعين، إذ كنا على يقين من أن القذافي ورفاقه القليلين كانوا سينهارون ويفقدون أعصابهم ويفرون إلى الصحراء . . . "

"كان همنا الرئيسي الوحيد ومصدر قلقنا [في الموساد] أن يكتشف من يتقلد الأمور بعد القذافي أننا وحدنا فقط الذين قدّمنا له المساعدة، بل والأسوأ من ذلك، أن يكتشف أن القذافي كان قد تلقى كذلك المساعدة والتأييد من أرماند هامر . "

"كنا نعتبر أن تخلينا [تخلي إسرائيل] عن آبار النفط في سيناء [المحتلة] لظمة كبيرة لنا، ذلك أن إسرائيل أخذت تنظر لشركة أوكسيدنتال [التي يملكها هامر] على أنها شركتها الوطنية للنفط . "

٥٧ كان المستر نيوسوم يشغل منصب سفير أمريكا في ليبيا حتى يونيو/ حزيران ١٩٦٩، ثم شغل منذ عودته إلى واشنطن (وعند وقوع ذلك اللقاء) منصب مساعد وزير الخارجية للشؤون الإفريقية (بما في ذلك الشؤون الليبية).

٥٨ تأليف جاك تيلور وترجمة إلياس توفيق (دار نادر، أكسفورد، ١٩٩٢) ص ١٠٥.

مواقف القوى الشعبية الليبية

قبل أن نتعرض لأحداث يونيو ١٩٦٧ الدامية في ليبيا ونتائجها على وضع الطائفة اليهودية فيها؛ يحسن أن نشير بإيجاز إلى ما كانت حكومات العهد الملكي المتعاقبة تواجهه من ضغوط شعبية وأهلية داخلية - فضلاً عن تأثيرات خارجية وافدة - إزاء تعاملها مع القضايا المتعلقة بتلك الطائفة.

جاء المصدر الأول للضغوط الداخلية على النظام الملكي، بشأن الموقف من القضية الفلسطينية بصفة عامة ومن الطائفة اليهودية في ليبيا بصفة خاصة، من الصحافة الليبية التي لم تتردد في استخدام هامش الحرية الذي كانت تتمتع به في تناول عدد من القضايا الوطنية ومن بينها هذه القضية. وعلى سبيل المثال، فقد كتب صالح مسعود بويصير في جريدة "الدفاع" (التي كان يملكها) مقالاً بتاريخ ١١/٩/١٩٥٢، جاء فيه:

"ليس من يغرب عنه سفر البعض من اليهود المقيمين في ليبيا إلى إيطاليا بحجة التداوي أو التجارة، حتى إذا ما بلغوا إيطاليا استأنفوا طريقهم إلى إسرائيل آمين مطمئن، تاركين أعمالهم في ليبيا سائرة سيرها ثم يرجعون إلى إيطاليا ومنها إلى ليبيا، وبلغ من عرفية هذا السفر أن أصبح بعض اليهود لا يتورعون عن المجاهرة بأنهم كانوا في إسرائيل..."^{٥٩}

"وإنه ليس من كرامة أمة مسلمة ذات سيادة في شيء أن ترى وتعلم بأن

٥٩ نقلاً عن "حقيقة ليبيا" (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٣١٠.

الطائفة اليهودية في بلادها، الأمانة المتمتعة بكافة الحقوق، تدوس كرامة هذه الأمة، وتذهب وتجيء حاملة رسالة الصهيونية إلى بلد إسلامي عربي مستقل.

"إننا نرجو أن تستيقظ الحكومة التي لا يداخلها إغفاء فتعير هذه المسألة جانباً مهماً من عملها الحاسم، وتصدر التشريعات الحازمة التي تمنع كل علاقة بإسرائيل تجارية أو سياسية أو مدنية، فلا صلة ولا تجارة ولا بريد، إن علاقة الشقيق بالعدو عداوة...".^{٦٠}

وقد أشارت كثير من التقارير السريّة للسفارتين البريطانية والأمريكية المتعلقة بتلك الحقبة إلى صحف "الطلیعة" و"الحقیقة" و"الرقیب" و"الزمان" و"الحرية" و"الرائد" باعتبارها من أكثر الصحف طرماً لهذا الموضوع وتناولاً له.

أما المصدر الثاني للضغوط الداخلية على النظام الملكي فقد جاء من عدد من أعضاء البرلمان الليبي. ذلك أن قبة البرلمان الليبي قد شهدت، على امتداد دوراته، التي ما انقطعت منذ حصلت ليبيا على استقلالها، عدداً من المداولات والأسئلة والاستجابات التي دارت حول وضع الطائفة اليهودية في ليبيا، وحول إساءتها لاستخدام الحرية التي تتمتع بها في السفر لإسرائيل، وغيرها من النشاطات والمواقف التي تتعارض مع سياسات الحكومة الليبية ومواقفها من القضية الفلسطينية.

ويورد سامي الحكيم^{٦١} في سياق انتقاد سياسات حكومات العهد الملكي العربية وموقفها من فلسطين، عيّنات وأمثلة من الأسئلة والاستجابات التي وجّهها عدد من النواب الليبيين إلى الحكومة والتي كان منها:

• السؤال الذي تقدم به النائب السيّد محمود أبو شريدة يوم

٦٠ شغل السيد بويصير منصب وزير الوحدة والخارجية في أول وزارة تشكلت بعد قيام الانقلاب، وكان ضمن ركاب الطائرة الليبية التي أسقطتها المقاتلات الإسرائيلية فوق سيناء يوم ٢١/٢/١٩٧٣. ألف أثناء وجوده لاجئاً سياسياً في مصر كتاب "جهاد شعب فلسطين".

٦١ نقلاً عن "حقيقة ليبيا"، مصدر سابق، ص ٣٣٦.

١٩٥٢/١٢/٦ بشأن المحاولات التي بذلها المهاجرون (اليهود) لتهريب البضائع والأشياء الممنوعة إلى خارج البلاد عند مغادرتهم لها.

- الاستجواب الذي ناقشه مجلس النواب يوم ١٩٥٣/٤/٥ حول المؤسسات الأجنبية الموجودة في ليبيا والتي لها خطورتها، وفي مقدمتها "نادي المكابي" الصهيوني بطرابلس. (وقد جرى إغلاق نادي "المكابي" في طرابلس يوم ١٩٥٣/١٢/١٦ بناءً على قرار مجلس النواب، وإثر قيام أحد النواب الصهيونيين بزيارة إلى ليبيا قصد خلالها إلى نادي المكابي حيث اجتمع ببعض اليهود ثم غادر البلاد بإحدى السفن العابرة).

- الطلب الذي تقدّم به (١١) عضواً من أعضاء مجلس النواب (هم: سالم الحضيري، عبد القادر البدري، ميلود عبد الله، كمال فرحات، محمود أبو شريدة، المنير العروسي، رمضان الكيخيا، حسين الفقيه، محمد أبو يحيى، منصور محمد، القذافي سعد) يوم ١٩٥٤/٢/٢٥ لإجراء مناقشة بين المجلس والحكومة حول الإجراءات التي اتخذتها السلطات الليبية لتطبيق قرارات الجامعة العربية بشأن مقاطعة إسرائيل.

أما أهمّ مصدر لهذه الضغوط على رجال العهد الملكي فقد كان ذاتياً ودائماً ونابعا من وجدانهم وضمائرهم وقناعاتهم الشخصية. فهم وإن كانوا لا يحملون أية مشاعر عدائية نحو الطائفة اليهودية (كما ورد في كتاب "يهود في بلاد عربية" بشأن موقف الملك من اليهود)، بل حتى إن كان لبعضهم صداقات شخصية حميمة مع عددٍ من رؤساء هذه الطائفة وأبنائها (كما ورد في مذكرات الأستاذ محمد عثمان الصيد وفي عددٍ من الوثائق السريّة للخارجية الأمريكية والبريطانية)، فإن ضميرهم الوطني ووجدانهم الإسلامي لم يكن يسمح لهم بالسكوت عمّا ارتكبهته الدولة العبرية بحق فلسطين وشعبها، أو بعدم محاولة الانتصار للقضية الفلسطينية، دون أن يمسّ ذلك

بالطبع الحقوق السياسية للطائفة اليهودية في ليبيا أو يتعارض معها. إن هذا الضمير والوجدان ذاته هو الذي جعل ليبيا ملكاً وحكومة وشعباً تقف مع الشعب الجزائري في جهاده ونضاله من أجل الاستقلال عن فرنسا (١٩٥٤ - ١٩٦٢)، ولم يكن ذلك إرضاءً لأحد أو نزولاً عند ضغوط داخلية أو خارجية عربية أو غيرها. إن هذه الحقيقة تؤكد زيف الزعم الذي ذهب إليه دي فيليتشى^{٦٢} من أن مواقف الملك وحكوماته المتعاقبة من اليهود في ليبيا كانت مجرد استجابات للمتطلبات والفرص التي أملتھا الظروف الداخلية والخارجية (أي أنها كانت خالية من أية اعتبارات مبدئية أو قناعات ذاتية) وأن الملك وحكوماته المتعاقبة استخدمت سياستها تجاه يهود ليبيا كورقة لإبراز "مواقفها القومية" من جهة، أو من جهة أخرى كوسيلة لتحويل ومواجهة المطالب الشعبية والوطنية، على اعتبار أن استخدام هذه الورقة (بما تعنيه من سياسات ضاغطة في مواجهة الطائفة اليهودية) هو أقل إيلاًماً وأقل إضراراً بسلطة الملك وحكومته.

أحداث يونيو ١٩٦٧ الدامية

يصف الكاتب المصري سامي حكيم أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ على النحو الحماسي الآتي:

"وعندما حدث العدوان الإسرائيلي اللثيم على الدول العربية يوم ٥ من يونيو ١٩٦٧ انطلق الشعب الليبي من عقاله يساند العرب في الذود عن حياضهم ودرء الخطر المحدق بالأمة العربية كلها، واشتعلت ليبيا من أدناها إلى أقصاها بالمظاهرات الشعبية تطالب حكومتها المساندة العملية السريعة الفعّالة، وعجزت قوات الشرطة عن كبح جماح الجماهير الصاخبة الملتهبة التي اندفعت نحو المؤسسات الصهيونية والاستعمارية تحرقها وتحطمها إعلاناً عملياً عن غضبتها وثورتها، وبلغ من ثورة الجماهير أنها حطمت جانباً من السفارة الأمريكية في بنغازي ورفعت على ساريتها العلم المصري، وقتلت جندياً بريطانياً كان يركب سيارة مصفحة، وأجبرت الحكومة على عدم تصدير النفط إلى الدول المعادية التي ساندت إسرائيل".^{٦٣}

ليس من مهمتنا هنا التأريخ لأحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ وما تلاه، أو بيان ما وقع فيه، والنتائج الخطيرة التي ترتبت على تلك الأحداث، ولكن يهمننا الإشارة إلى ما تعرّضت له الطائفة اليهودية في ليبيا وممتلكاتها خلال تلك الأحداث من اعتداءات من قبل الجماهير الغاضبة. إذ يتبين من جملة

التقارير والبرقيات السريّة التي بعثت بها سفارة أمريكا في ليبيا، وما ورد بالمصادر اليهودية وأهمّها كتاب "يهود في بلاد عربية: ليبيا" بشأن هذه الأحداث، الحقائق التالية:

(١) فور اندلاع حرب الأيام الستة بين إسرائيل والدول العربية في الخامس من يونيو، انطلقت المظاهرات والاضطرابات وأعمال العنف في شتى أنحاء ليبيا، وبخاصّة في مدينتي طرابلس وبنغازي، وقد استهدفت تلك المظاهرات وأعمال العنف اليهود والأجانب عموماً، وعلى الأخصّ الأمريكان، سواء العسكريون منهم أو المدنيون. ولقد أسقط في يد قوات الأمن التي فوجئت بحجم الأحداث، وشرعت هذه القوات في مدينة طرابلس، بعد ساعات، في تجميع اليهود الذين استهدفوا بتلك الأعمال في معسكر "قرجي" على مشارف المدينة. وقد ساعد إعلان السلطات لحالة الطوارئ ومنع التجوّل في السيطرة على الموقف، غير أن هذه المظاهرات وأعمال العنف وحرق متاجر اليهود تواصلت حتى التاسع من يونيو، ومن بعد ذلك بشكل متقطع حتى يوم الثاني عشر من ذلك الشهر. وحدث الأمر نفسه في مدينة بنغازي حيث جرى تجميع اليهود في معسكر خارج المدينة، غير أن المظاهرات وأعمال العنف في بنغازي توقفت قبل وقتٍ من توقف نظيرتها في طرابلس، وقد استهدفت أعمال العنف في بنغازي موظفي السفارتين الأمريكية والبريطانية ومبانيهما وممتلكاتهما.

(٢) ذكرت البيانات الرسمية للحكومة الليبية أن عدد القتلى نتيجة الاضطرابات في طرابلس كان أربعة أشخاص، منهما ليبان (رجل وامرأة) وشخص مسيحي وآخر مالطي، على حين تؤكد المصادر اليهودية والغربية أن عدد القتلى من اليهود فقط بلغ (١٥) شخصاً وتحصر عدد الجرحى في (٣٠) شخصاً. وتشير هذه المصادر إلى أن أفراد عائلي شالوم لوزون (Shalum Luzon)، وإميليا برانيس حبيب (Emilia Baranes Habib) البالغين (١٣) شخصاً قد ذبحوا يوم ٦/٦/١٩٦٧ بواسطة أحد الليبيين الذي

تظاهر بأخذ الأسرتين إلى مكان آمن ثم اعتدى عليهم بذبحهم جميعاً خارج مدينة طرابلس . كما يشير أحد المصادر إلى أن عدد القتلى من اليهود في حوادث بنغازي تراوح بين شخص وثلاثة أشخاص .

(٣) في السابع عشر من يونيو أرسل رئيس الطائفة اليهودية في ليبيا المدعو ليللو أريب (Lillo Arbib) إلى السيّد حسين مازق رئيس الوزراء يطلب منه الإذن لليهود الذين يرغبون في مغادرة ليبيا إلى حين أن تهدأ الخواطر . وقد وافقت حكومة السيّد مازق فوراً على طلب السنيور أريب ، وشرعت مكاتب الهجرة في إعداد وثائق السفر لليهود الراغبين في مغادرة البلاد منذ يوم ٢٠ يونيو ، ولم تسمح الحكومة الليبية ، وفقاً للمصادر اليهودية ، لليهود المغادرين بحمل أكثر من (٢٠) جنيناً إسترلينياً للفرد . وخلال شهر واحد تمت هجرة نحو (٤١٠٠) يهودي عن ليبيا بحيث لم يتجاوز عدد اليهود الباقين في شهر سبتمبر ١٩٦٧ أكثر من مائة (١٠٠) يهودي منهم اثنان فقط في بنغازي .

وإذا كان من الواضح أن الخيارات التي كانت أمام الحكومة الليبية قليلة جداً عندما تقدم رئيس الطائفة اليهودية بطلب الإذن لليهود الليبيين بمغادرة ليبيا في أعقاب أحداث يونيو ١٩٦٧ ، فإنه ممّا لا شكّ فيه أن ما تعرضت له الطائفة اليهودية خلال تلك الأحداث من ترويع واعتداء و قتل هو أمر مشين ولا مبرر له ويتنافى مع كافة الأعراف الإنسانية والتقاليد العربية والإسلامية . صحيح أن الإسرائيليين ارتكبوا بحقّ الآلاف من الفلسطينيين العزل من السلاح أضعاف أضعاف الجرائم التي ارتكبت بحقّ اليهود الليبيين خلال أحداث يونيو ١٩٦٧ ، ومع ذلك ، يظلّ ما ارتكبه الغوغاء في ليبيا ، وبتحريض من بعض الإذاعات العربية ، في تلك الأحداث بحقّ اليهود ، ومن بينهم أطفال ونساء وشيوخ ، أمراً غير مسوغ من منظور إسلامي وإنساني وأخلاقي ، وتظلّ تلك الأحداث أعمالاً إجرامية مشينة ومدانة من قبل كل صاحب ضمير وإحساس حي .

وبقي أن نشير إلى مقتطفات ممّا ورد في برقيتين بعث بهما السفير

الأمريكي ديفيد نيوسوم إلى الخارجية الأمريكية في أعقاب تلك الأحداث.

جاء في الفقرتين (١) و(٢) من البرقية الأولى (رقم ٦٦٨) المؤرخة في ١٦/٨/١٩٦٧ رداً على "تقرير" وصل إلى الخارجية الأمريكية يتحدث عن مزاعم مفادها أن الحكومة الليبية طلبت من جميع أفراد الطائفة اليهودية مغادرة ليبيا، ما ترجمته:

"ليس لدينا علم بأي أساس لتقرير مفاده أن الحكومة الليبية طلبت من أبناء الطائفة اليهودية مغادرة البلاد بأسرع وقت ممكن. وعلى العكس من ذلك، فإن الحكومة الليبية تبذل جهوداً من أجل ضمان أمن ورفاهية أبناء هذه الطائفة. فبالإضافة إلى حمايتهم، تركت لهم حرية الاختيار بين السفر أو البقاء في البلاد، كما سهّلت للراغبين منهم في السفر الحصول على ما يحتاجونه من مساعدات مالية أو وسيلة سفر، كما أصدرت لهم تأشيرات خروج وعودة، فضلاً عن ذلك، فإن الملك إدريس أبدى اهتماماً شخصياً لضمان رفاهية الطائفة اليهودية في ليبيا. وقد عين رئيس وزراء جديداً، وقام رئيس الوزراء الجديد ووزير الداخلية بكافة الإجراءات الضرورية من أجل حماية جميع الأقليات، كما عبّر عن ترحيب الحكومة باليهود الراغبين في العودة إلى ليبيا. وقد أكد الملك على حقيقة أن اليهود الليبيين هم لیبیون مثل غیرهم من الليبيين، وأن الإسلام يحث المسلمين على حماية اليهود..."

كما جاء في الفقرة الثانية من البرقية رقم (١٠٩٨) المؤرخة في ١٨/٩/١٩٦٧ ما نصّه:

"إن عدداً كبيراً من اليهود الليبيين عاد إلى ليبيا في زيارات قصيرة، إما من أجل الحصول على بعض الأموال التي هم في حاجة إليها، وإما من أجل إعادة ترتيب أوضاعهم التجارية، أو من أجل تجديد تأشيرة الخروج والعودة. ومحلياً يبدو أن السلطات الليبية تبذل قصارى جهدها من أجل مساعدة هؤلاء العائدين من اليهود، فهي تقوم على الفور بإصدار تأشيرات خروج وعودة جديدة لهم، كما تسمح لمن يرغب منهم في الحصول على

علاوة السفر بالعمل الصعبة في حدود (٣٣) ديناراً ليبيا. كما يقوم رجال الشرطة بتقديم جميع صور الحماية لهؤلاء العائدين. وقد جرى إيواء عدد من هؤلاء اليهود العائدين مؤقتاً في بيوت بعض رجال الأعمال (المسلمين) البارزين وبعض كبار المسؤولين الليبيين".

ورغم ذلك، فسوف تبقى ذكريات الأحداث الدامية التي وقعت في أعقاب اندلاع حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ باعثة على الحزن والأسى، ولا نحسب إلا أن الليبيين قد دفعوا ثمن تلك الأعمال الغوغائية الطائشة والجرائم الخسيسة باهظاً وغالياً منذ الأول من سبتمبر ١٩٦٩ وما تلاه.

حسابات إسرائيل مع النظام الملكي الليبي!

نحسب أنه ليس من المستهجن أو المستغرب أن يتصور المرء أن "إسرائيل" اعتبرت نفسها منذ قيامها في عام ١٩٤٨ "راعية" لكلّ يهود العالم، بمن فيهم أولئك الذين يعيشون حتى في ظلّ دول صديقة لإسرائيل وينعمون بجنسيتها وبخيراتها، حتى لو لم يطلب أولئك اليهود تلك "الرعاية". بل إن الوقائع تؤكد أن إسرائيل اعتبرت نفسها "الوريثة" لكل خصومات اليهود وثاراتهم مع بقية شعوب العالم، تلاحق النازيين السابقين في كل مكان من العالم، وتخطف من تستطيع خطفه منهم، وتقدّم من تستطيع تقديمه إلى المحاكمة، وتدين مواقف الشعوب، والحكومات، والباباوات، وحتى المصارف وشركات التأمين، وتطالب "بالتعويضات" عمّا لحق يهود العالم - قبل قيام إسرائيل - من اضطهادٍ وقتلٍ وعدوان.

ومن هذا المنظور فإن إسرائيل، وإن كانت منشغلة منذ قيامها بقضايا أخرى أكثر إلحاحاً وأهميّة وخطورة بالنسبة لبقائها ووجودها واستمرارها، كانت تلاحظ وترقب أحوال مختلف "الطوائف اليهودية" المقيمة في شتى دول العالم، ومن بينها الطائفة اليهودية التي كانت مقيمة في ليبيا، وتسجل ما كانت "تعرض له". كذلك نحسب أن قراءة تلك الأحوال من قبل إسرائيل كانت لا تتمّ سوى من منظور تلك الطوائف، أو وفقاً لوجهة نظر الجمعيات والمنظمات اليهودية العالمية التي اضطلعت هي الأخرى بجزء من دور

"الوصاية" و"الرعاية" على يهود العالم كما رأينا.

ومن ثم، وتأسيساً على ذلك، فلا نحسب إلا أن تكون دولة إسرائيل قد أخذت علماً - وعبر مصادرها اليهودية، ووفقاً لوجهات نظرها - بما تصوّرت أن يهود ليبيا كانوا يتعرضون له من "اضطهادٍ وسوء معاملةٍ وعدوان" في ظل حكومات العهد الملكي. ولأن إسرائيل لا تدرج بين تلك الدول التي تأخذ فقط علماً بالأشياء.. بل تعتقد بوجوب قيامها بالإجراء التصحيحي في الوقت المناسب.. فلا بدّ أنها قد "اختزنت" قرارها بالإجراء التصحيحي المناسب في الوقت المناسب... ولا بأس، بانتظار ذلك الوقت المناسب، من فتح "حساب معلق" للنظام الملكي في ليبيا توضع فيه كافة "المآخذ اليهودية" عليه.

وفي الواقع فإن إسرائيل لم تكن تسجّل في "حساباتها المعلقة" مع النظام الملكي في ليبيا ما ارتكبه ذلك النظام - من وجهة نظرها ونظر الجمعيات اليهودية العالمية - في حقّ يهود ليبيا فحسب، بل كانت تدوّن في هذه الحسابات جملة المواقف والسياسات التي اتخذها ذلك النظام ضدّ "إسرائيل" و"لصالح القضية الفلسطينية"، حتى لو لم يقم ذلك "النظام الخجول" بالدعاية وبالتطويل لتلك المواقف والسياسات، وحتى لو لم تُستقبل تلك المواقف من قبل جيرانه وأشقائه سوى بالجحود والتجاهل والتغافل.

وعلى سبيل المثال، فلا نحسب إلا أن تكون إسرائيل قد سجّلت في كشف تلك "الحسابات المعلقة" جملة مواقف وسياسات ذلك النظام، نذكر منها:

• المواقف السياسية للنظام الملكي من إسرائيل

لقد جرى النظام الملكي بقية الدول العربية في موقفها السياسي، الرفض للاعتراف بإسرائيل، والمقاطع لها وللتعامل والتعاون معها بأية صورة من الصور. واتخذ هذا الموقف الرسمي الليبي شكلاً من الإجماع والثبات

والاستمرارية، مع الحدة في بعض الأحيان، بحيث بدا في بعض الأوقات ظاهرة محيرة لدبلوماسيي سفارتي الولايات المتحدة وبريطانيا تناولتها تقاريرهم وبرقياتهم في أكثر من مناسبة. (من ذلك على سبيل المثال تقرير السفارة الأمريكية في ليبيا رقم (A-247) المؤرخ في ٩ / ٢ / ١٩٦٨ بعنوان "ليبيا - والصراع العربي / الإسرائيلي"، وتقريرها رقم (A-566) المؤرخ في ٢ / ١٢ / ١٩٦٨ بعنوان "ازدياد نشاط حركة فتح في ليبيا".

• التأييد السياسي للقضية الفلسطينية

عبر النظام الملكي، بالقدر نفسه الذي عاى به دولة إسرائيل، عن تأييده السياسي المطلق والمتواصل وغير المشروط لحقوق الشعب الفلسطيني. وعلى سبيل المثال تجدر الإشارة إلى الحيز الكبير الذي شغلته القضية الفلسطينية من كلمة ولي عهد المملكة الليبية الأمير الحسن الرضا السنوسي التي ألقاها بالبيت الأبيض في منتصف أكتوبر ١٩٦٢ خلال المحادثات التي أجراها مع الرئيس الأمريكي جون كينيدي وكبار المسؤولين الأمريكيين بمناسبة زيارة الأمير الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية.^{٦٤} وفضلاً عن ذلك قدم النظام الملكي الدعم السياسي والمادي لمنظمة التحرير الفلسطينية فور قيامها، وللعمل الفدائي ممثلاً في حركة "فتح". وعلى سبيل المثال، فلا نتصور إلا أن تكون إسرائيل قد سجّلت ضمن قائمة مواقف النظام الملكي الداعمة للقضية الفلسطينية (منذ عام ١٩٦٧ فقط):

١. دعوة رئيس الوزراء السيد حسين مازق (خلال المقابلة التي أجرتها معه جريدة "الأنوار" اللبنانية) للدول العربية لاتخاذ مواقف موحدة في مواجهة العدو الإسرائيلي.

٢. السماح لمنظمة التحرير الفلسطينية بفتح مكاتب لها في ليبيا وعقد

٦٤ راجع كتاب "عرب أمريكا: رهائن بائسة من إيزنهاور إلى فورد" تأليف كميل نوفل (دار النهار، بيروت، ٢٠٠٣) ص ٩٩ - ١٠٢.

ملتقيات حاشدة إحياءً لذكرى يوم فلسطين في ١٥/٥/١٩٦٧، واجتماعات أخرى في بنغازي يوم ٢/٦/١٩٦٧ شارك فيها نحو (٥٠٠٠) شخص.

٣. السماح لمنظمة التحرير الفلسطينية (منذ مارس ١٩٦٨) ولحركة "فتح" (منذ مارس ١٩٦٩) بأن يكون لكل منها جناح خاص في معرض طرابلس الدولي (وقد كان هذان الجناحان من أكثر أجنحة المعرض اكتظاظاً بالزوار).

٤. خطبة مفتي ليبيا الشيخ عبد الرحمن القلهود يوم ٢٩/٤/١٩٦٩ أمام المؤتمر الإسلامي في العاصمة الماليزية كوالالمبور، والتي دعا فيها لإعلان الجهاد لتحرير فلسطين.

٥. فرض ضريبة بمعدل ٦٪ اعتباراً من ٢٤/٦/١٩٦٩ تستقطع من مرتبات جميع الفلسطينيين العاملين في ليبيا لصالح "صندوق الدعم الفلسطيني".

ولعل المقتطفات التالية من آخر خطاب عرش خلال العهد الملكي ألقاه رئيس الوزراء السيد ونيس القذافي يوم ١٧/١١/١٩٦٨ عند افتتاح دور الانعقاد الخامس للهيئة النيابية الخامسة لمجلس الأمة الليبي بمدينة البيضاء، واضحة الدلالة بشأن موقف النظام الملكي من تأييد ودعم القضية الفلسطينية والعمل الفدائي الفلسطيني:

"وفي المجال العربي تعمل حكومتي بروح ميثاق الجامعة العربية، وعلى أساس ثابت من الإيمان بتضامن الأمة العربية، وتنمية التعاون والإخاء، والسعي لإيجاد السبل القويمة لعمل عربي موحد، والتجاوب مع كل ما من شأنه تحقيق جهد مشترك لخدمة المصالح والقضايا العربية، كما تدرك بأنه من واجبها نصره القضايا العربية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية التي لم تدخر حكومتي جهداً في تقديم كل تأييد ومساندة لها، وإيماناً منها بالحق المشروع لشعب فلسطين في تحرير أرضه المغتصبة فإن حكومتي

تؤيد العمل الفدائي الفلسطيني، ولم تتردد في تسخير كافة إمكانياتها لمقاومة العدوان الصهيوني على البلاد العربية الشقيقة ونواياه التوسعية، وتقديم كل ما تستطيع من العون والتأييد للأشقاء الذين تضرّروا من هذا العدوان".

"... كما شاركت حكومتي في جميع المؤتمرات العربية التي تمّ عقدها لتنسيق جهودها ووضع الأسس لمقاومة العدوان الغاشم ومحو آثاره، وقامت بكلّ إخلاص بتنفيذ كافة ما ترتب عن تلك المؤتمرات من التزامات باعتبار ذلك واجبا مقدسا نحو عروبتنا وأشقائنا، وتبذل حكومتي ما يمكنها من مساع سياسية في جميع المحافل الدولية والإقليمية ولدى الدول الصديقة لإبراز خطورة الموقف وأبعاده على الأمن والسلام في العالم، واستهانة المعتدي بمنظمة الأمم المتحدة وانتهاكه لحرمة مقدسات الأديان السماوية. هذا ولا تزال حكومتي تسعى جاهدة لمضاعفة جهود الدول العربية الشقيقة الرامية إلى محو آثار العدوان واستعادة الأرض المغتصبة التي تؤمن بإرجاعها مهما بلغت التضحيات ومهما طال الزمن ومهما تعنت العدو".

ويشير عدد من الوثائق السرية للخارجية الأمريكية المفرج عنها والمتعلقة بحكومة السيد ونيس القذافي (آخر حكومات العهد الملكي) كيف أن عدداً من المسؤولين الليبيين، من بينهم رئيس الوزراء نفسه وسفير ليبيا لدى الولايات المتحدة الأمريكية السيد فتحي العابدية وآخرون، كانوا يعبرون بشكل متواصل (خلال لقائهم بالدبلوماسيين والمسؤولين الأمريكيين) عن انزعاجهم من انحياز الولايات المتحدة الأمريكية المفرط للجانب الإسرائيلي، ويطالبونهم باتخاذ موقف متوازن وعادل إزاء القضية الفلسطينية^{٦٥}.

٦٥ راجع مذكرة المحادثة التي جرت في واشنطن يوم ١٩٦٨/١١/٢٥ وشارك فيها السفير الليبي فتحي العابدية ومساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى المستر هارت (Hart) والدبلوماسي الأمريكي (Hume A. Horan) بالملف (Pol 27 ARAB-ISR). راجع أيضاً البرقية المرسلة من السفير نيوسوم إلى الخارجية الأمريكية ذات الرقم (263) المؤرخة في 7/11/68 بالملف نفسه وكذلك البرقية رقم (434) المؤرخة 9/11/1968.

كما يشير عدد من الوثائق السرية المتبادلة بين وزارة الخارجية الأمريكية وسفارتها في ليبيا خلال الفترة ما بين شهري يناير ومارس ١٩٦٩ إلى مخاوف انتابت المسؤولين الأمريكيين بشأن احتمال قيام النظام الملكي الليبي بتزويد "حركة فتح" بكميات من الأسلحة.^{٦٦}

• الدعم المالي للقضية الفلسطينية

أخذ الدعم المالي المتعاضم في ظلّ العهد الملكي للقضية الفلسطينية اتجاهين؛ أولهما، شعبي أهلي، وثانيهما، حكومي رسمي:

أولاً: أمّا على الصعيد الشعبي الأهلي فتكشف برقية سرّية تحمل الرقم A-8 مؤرّخة في ١٨/٧/١٩٦٧ بعث بها السفير الأمريكي ديفيد نيوسوم إلى الخارجية الأمريكية أن القطاع الخاصّ في ليبيا تبرّع بمبلغ (٣,٥) مليون دولار كدعم لحكومات مصر والأردن وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية "ضحايا أزمة الشرق الأوسط".

ولم يكن هذا الدعم الذي أشارت إليه برقية السفير الأمريكي سوى بداية الدعم المالي الشعبي للقضية الفلسطينية (لاحظ أنه تمّ تحويل هذا المبلغ في الفترة ما بين ١٥ - ٢٩ يونيو ١٩٦٧). فقد شهد هذا الدعم تعاضماً في الأشهر التالية، وبخاصة بعد أن أعلنت الحكومة الليبية منذ مايو ١٩٦٨ بتوجيه وموافقة الملك إدريس، دعم العمل الفدائي الفلسطيني ممثلاً في "حركة فتح". لقد شهدت تلك الحقبة الخطوات التالية في هذا المجال:

• وصول وفد في ٢٧-٢٨/١١/١٩٦٧ من حركة فتح لجمع تبرعات للعمل الفدائي الذي تقوم به.

^{٦٦} راجع البرقية السرية المرسلة من السفارة الأمريكية إلى واشنطن رقم (٩٦٩) المؤرخة في ١٩٦٩/١/٧ بعنوان "أسلحة لحركة فتح" والبرقيات أرقام (٢٨٠٠٦)، (٢٨٠٠٧)، (٥٩٢) المؤرخة في ٢١، ٢٤ فبراير ١٩٦٩، والتقارير السري المرسل من السفارة الأمريكية بفرنسا رقم (5-A) بتاريخ ١٩٦٩/٣/٤ بشأن مبيعات أسلحة إلى ليبيا. الوثائق جميعها موجودة بالملف (LIBYA 5-DEF 12).

- سماح الحكومة رسمياً لحركة فتح، باعتبارها ممثلة للعمل الفدائي، بفتح "مكاتب" لها في ليبيا ومباشرة نشاطها في جمع التبرّعات من الشعب الليبي، وقد تمّ ذلك برعاية الملك إدريس والملكة فاطمة.
 - تشكّلت في طرابلس وبنغازي لجان شعبية رئيسية لمناصرة فتح وجمع التبرّعات لها (تشكّلت لجنة مدينة بنغازي في ٧/١/١٩٦٩).
 - سمحت الحكومة بأن يكون لحركة فتح جناح خاصّ في معرض طرابلس الدولي (مارس ١٩٦٩) إلى جانب جناح المنظمة، وقد أسهم هذا الجناح (برعاية الملكة فاطمة) في عملية جمع التبرّعات للحركة.
 - أحيت السيدة "أم كلثوم" حفلتين غنائيتين بمدينتي طرابلس وبنغازي يومي ١٢، ١٧ مارس ١٩٦٩ لصالح حركة "فتح" والعمل الفدائي.
 - أصدر عدد من المشايخ والعلماء الليبيين "فتوى" تجيز صرف الزكاة لصالح حركة فتح والعمل الفدائي الفلسطيني.
- وقد ورد في الحلقة الأخيرة من مذكرات "الشهيد أبو جهاد" التي نشرتها مجلة "المجلة" في العدد (٤٣٨) بتاريخ ٥/٧/١٩٨٨ في هذا الصدد ما نصّه:

"ففي ليبيا على سبيل المثال وجدنا أرضية جاهزة لعملنا على هذا الصعيد من خلال تحوّل لجنة نصرّة الجزائر بكلّ عناصرها وإمكانياتها إلى لجنة نصرّة فلسطين، وهذه اللجنة، من خلال القائمين عليها، وهم كانوا مجموعة من الطيّبين الأنقياء الصادقين في عروبتهم وفي إخلاصهم للعمل القومي الذي ينصبّ أولاً باتجاه الجزائر إلى أن نالت استقلالها وتحرّرت، ثم باتجاه فلسطين، قدّمت لنا الكثير، خصوصاً أننا في البداية كنا (حركة فتح) بحاجة إلى أي دعم أو مساندة، وللتاريخ والأمانة أؤكد أن أول دفعة

من الدعم المالي تلقيناها كانت من ليبيا ومن أبناء الشعب الليبي الذين استمرّ عطاؤهم واتسع مع تطوّر التحضير لانطلاقة الثورة الفلسطينية، وكان هذا العطاء إحدى القنوات الرئيسية التي مدّت ثورتنا بالإمكانات الكبيرة... " (كلّ ذلك كان قبل وقوع انقلاب سبتمبر ١٩٦٩).

إن هذا الدعم الشعبي والأهلي غير المحدود لحركة "فتح" هو الذي جعل السفارة الأمريكية في ليبيا تذكر باستغراب وباستنكار في تقريرها السريّ رقم (A-566) المؤرّخ في ١٢ / ٢ / ١٩٦٨ والذي يحمل عنوان "ازدياد نشاط حركة فتح في ليبيا **Surge in Fatah Activities**" ما ترجمته:

"إحدى الحقائق المثيرة واللافتة للنظر هي أن دعم العمل الإرهابي [يقصد العمل الفدائي الفلسطيني] أصبح شيئاً محترماً في ليبيا، بل شيئاً يشبه الموضة Fashionable حتى بين الشخصيات الليبية البارزة، وقد كان لموقف القصر الملكي المشجّع لهذا العمل [الفدائي] دور في أن يصبح الأمر على هذا النحو".

ثانياً: أما على الصعيد الرسمي الحكومي، فنكتفي بالإشارات التالية التي وردت في عدّة تقارير سرّية بعثت بها السفارة الأمريكية في ليبيا إلى واشنطن بشأن دعم الحكومة الليبية لدول المواجهة، مصر والأردن وسوريا، ولمنظمة التحرير الفلسطينية.

• جاء في التقرير الأول رقم (A-8) الذي سلفت الإشارة إليه (مؤرخ في ١٨ / ٧ / ١٩٦٧) ما نصّه:

"في أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية (يونيو ١٩٦٧) تعهّدت الحكومة الليبية أن تتبرّع للقضية العربية (Arab Cause) ما مجموعه (٢٣) مليون جنيهه ليبي (الجنيه الليبي = ٢,٨ دولار أمريكي) منها (١٢) مليون جنيهه لمصر (٦,٦) مليون جنيهه للأردن و(٤,٤) مليون جنيهه لسوريا. ويبدو أن هذه المبالغ جرى تحويلها ما بين ١٥ و ٢٩ يونيو ١٩٦٧ حيث تظهر ميزانية بنك ليبيا [البنك المركزي] انخفاضاً في أصول البنك الخارجية (عملات صعبة وذهب) بالمبلغ نفسه...".

• أما التقرير الثاني فهو يحمل الرقم (A-231) ومؤرخ في ٣١/١/١٩٦٨ بعنوان "انخفاض مثير في احتياطات ليبيا النقدية Dramatic Reduction in Libya Reserves فتد فيه الفقرات التالية: (التقرير من إعداد James Blake):

"خلال فترة الشهرين الواقعة ما بين ١٥ نوفمبر ١٩٦٧ و ١٥ يناير ١٩٦٨ انخفضت احتياطات ليبيا من الذهب والعملية الصعبة بما يقارب (٢٥) مليون جنيه ليبي، أي من إجمالي (٣, ١٥٥) مليون جنيه ليبي (ما يوازي ٨, ٤٣٤ مليون دولار) إلى (٦, ١٣٠) مليون جنيه (ما يوازي ٣٦٦ مليون دولار) ."

ويمضي التقرير في تفسير أسباب هذا الانخفاض:

"هناك عدة أسباب من وراء هذا الانخفاض المثير في الاحتياطات الأجنبية للحكومة الليبية. قامت ليبيا بسداد دفعتين ربع سنويتين بلغ إجماليهما (١٥) مليون جنيه إلى كل من مصر والأردن وسوريا بموجب اتفاق قمة الخرطوم (أغسطس - سبتمبر ١٩٦٧) هذا بالإضافة إلى مبلغ يتراوح ما بين (٢٠ - ٢٥) مليون جنيه دفعتها إلى هذه الدول وإلى القيادة العربية الموحدة قبل حرب يونيو ١٩٦٧"

ويمضي التقرير مضيفاً:

"لقد أدت هذه المدفوعات، التي لم تكن محسوبة مسبقاً ضمن بنود ميزانية الدولة، إلى حالة من الفوضى، وإلى تسهيل بعض استثمارات الحكومة الخارجية خلال الأشهر الماضية، كما كان من الضروري، في مناسبات عديدة، حسم (قطع) بعض هذه الاستثمارات قصيرة الأجل قبل موعد استحقاقها مما سبب خسارة للحكومة الليبية"

• أما التقرير الثالث (المؤرخ في ٤/٨/١٩٦٩) أي قبل انقلاب سبتمبر بأقل من شهر)، ويحمل الرقم (A-198) فهو يوضح أن الحكومة الليبية قامت في ١٤/٧/١٩٦٩ بسداد القسط ربع السنوي الثامن من

التزامها بالدعم الذي تعهدت به في قمة الخرطوم (٣٠ مليون جنيه ليبي سنوياً). وكان إجمالي قيمة ذلك القسط الثامن (٤٨, ٧) مليون جنيه منها (٢٨, ٥) مليون جنيه لمصر والباقي للأردن.

• ويشير تقرير آخر صادر من السفارة الأمريكية إلى حوار جرى بين السفير الأمريكي نيوسوم ورئيس الوزراء ونيس القذافي قام خلاله نيوسوم بسؤال رئيس الوزراء عما تردّد في الأوساط الدبلوماسية حول تأخر الحكومة الليبية في سداد أقساط الدعم الليبي للدول العربية، فنفى السيّد ونيس القذافي صحّة الخبر، وأكد له " أن ليبيا ستواصل تقديم هذا الدعم دون توقف".^{٦٧}

• كما ورد في تقرير سري مطول أعدته السفارة الأمريكية في ليبيا بتاريخ ١٩٦٩/٢/٣ ويحمل الرقم الإشاري (A-19) وعنوان " الآثار الاجتماعية والاقتصادية للإسلام في ليبيا " The Socio Economic Effect of Islam in Libya جاء في إحدى فقراته ما ترجمته:

"وبعيداً عن الآثار السياسية والعسكرية الهائلة الناجمة عن استمرار الصراع العربي الإسرائيلي، فقد كان لهذا الصراع تأثيراته الاقتصادية الهامة بالنسبة لليبيا، رغم أنها كانت بعيدة عن ميدان الحرب. فخلال الفترة ما بين شهر مايو ١٩٦٧ وشهر إبريل ١٩٦٨ دفعت ليبيا ما لا يقل عن (١٤٠) مليون دولار أمريكي وربما ما قد يصل إلى (٣٣٨)^{٦٨} مليون دولار من تكلفة الحرب العربية الإسرائيلية."

• كما تورد مذكرة المعلومات الأمنية رقم (٣١٠) المؤرخة في ١٩٦٩/٤/٢٥ المعدّة من قبل مدير البحوث والمعلومات بوزارة

^{٦٧} راجع البرقية المؤرخة في ١٩٦٨/١١/١ والبرقية رقم (٩٢٦) المؤرخة في ١٩٦٨/١١/٦ المتعلقين بالموضوع . الملف (FN 14 LIBYA)

^{٦٨} لم يكن إجمالي ما حصلت عليه ليبيا الملكية من عائدات بترولها حتى ذلك التاريخ قد تجاوز (١٥٠٠) مليون دولار ومعنى ذلك أنها خصصت ما يربو على ٢٠٪ من عائداتها البترولية من أجل الدعم العربي وقضية فلسطين.

الخارجية الأمريكية لعناية الوزير تحت عنوان Libya Streamlines its Military أن ليبيا التزمت، بالإضافة إلى تعهداتها بموجب قمة الخرطوم، أن تدفع إلى مصر والأردن مبلغ (٧٠) مليون دولار أخرى على امتداد السنوات الثلاث التالية.

ولا نشك في أن المقتطف التالي من الكلمة التي ألقاها السيد مفتاح عريقيب رئيس مجلس النواب الليبي بمناسبة إقرار الميزانية العامة للمملكة الليبية لسنة ١٩٦٩ / ٧٠ (وهي آخر ميزانية عامة عرفها النظام الملكي) تجسد الروح العامة التي كانت تطبع موقف الحكومة الليبية ومدى استشعارها لمسؤوليتها إزاء دعم القضية الفلسطينية وكافة القضايا العربية:

"حضرات السادة، هناك نقطة هامة، وقد أوصى بها المجلس [مجلس النواب] في أحد الأبواب، إذ أشار إلى الدعم العربي. نحن شعب عربي، ودستورنا ينص على أننا جزء لا يتجزأ من الأمة العربية. ومن واجب كل عربي، ومن واجبنا نحن كنواب لشعب ليبيا وللأمة العربية أن نوصي بكل حرارة بأن تعمل الحكومة على دعم إخواننا العرب أينما كانوا. وبكل حرارة نوصي ألا يقتصر هذا الدعم على مهمة معينة، وأن يشمل كل الأمة العربية في كل مكان، فإذا ضاع شرف الأمة العربية فلن ينفعها المال شيئاً."

ولا غرو، في ضوء هذه الحقائق، أن يصف مؤلف كتاب "القذافي والثورة الليبية" الملك إدريس بأنه أحد الممولين الهامين (Substantial Paymaster) لحركة فتح.⁶⁹

• مواقف الصحافة الليبية

امتلات صفحات الجرائد والمجلات الرسمية والأهلية خلال العهد الملكي في ليبيا بالمقالات والتعليقات والرسوم الساخرة (الكاركاتيرات) التي تعرض

69 David Blundy and Andrew Lycett, *Qaddafi and the Libyan Revolution* (Little Brown and Company, Boston & Toronto, 1987), p.77.

بإسرائيل وبالصهيونية وممارساتها، وبحلفائها في الولايات المتحدة وأوروبا والغرب عاقمة، ولا يكاد يمرّ يوم لا تهاجم فيه تلك الصحف إسرائيل والصهيونية، ومن الأمثلة على ذلك:

- الهجوم الذي شنته صحيفة "الزمان" على برنامج النقطة الرابعة في ليبيا بحجة وجود عناصر صهيونية (أمريكية) عاملة فيه (نوفمبر ١٩٥٥).
- مهاجمة صحيفة "الرائد" لقرار الحكومة الأمريكية بتعيين القاضي جولدبرج (الصهيوني) مندوباً لها لدى الأمم المتحدة (أغسطس ١٩٦٥).
- مهاجمة جميع الصحف الليبية بكلّ شدة وضراوة لمواقف الولايات المتحدة وبريطانيا الموالية لإسرائيل خلال حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧).
- مهاجمة معظم الصحف الأهلية لقرار الحكومة الأمريكية بتزويد إسرائيل بثمان وأربعين طائرة سكاي هوك في أعقاب حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧).
- نشر صحيفة "الرائد" في عددها الصادر يوم ١٩٦٧/٩/٤ لوثيقة تاريخية ترجع إلى عام ١٩٠٨ حصلت عليها عن طريق السيّد عبد العزيز جبريل وكيل وزارة التعليم لشؤون الآثار تتحدّث عن الأطماع اليهودية الاستيطانية في برقة.
- مهاجمة معظم الصحف الأهلية للزيارة التي قام بها رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي أشكول للولايات المتحدة في مطلع عام ١٩٦٨.
- مهاجمة الصحف الليبية لجميع مرشّحي الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام ١٩٦٨ (هيوبرت همفري، وروبرت كندي، وريتشارد نيكسون) باعتبارهم متعاطفين مع إسرائيل والصهيونية.

- مهاجمة صحيفة "اليوم" لقرار الحكومة الأمريكية بزيادة حجم المساعدات التي تقدّمها لإسرائيل (يونيو ١٩٦٨).
- نشر صحيفة "الرائد" لخطاب مفتوح منها إلى السفير الأمريكي في ليبيا تنتقد فيه بشدّة سياسة بلاده المنحازة لإسرائيل (أكتوبر ١٩٦٥).
- نشر صحيفة "الحرية" في عددها الصادر يوم ١٩٦٨/٩/٢٦ لمقال بعنوان "كلهم يحبونها" وجّهت فيه انتقادات لاذعة وقاسية لمرشحي الانتخابات الرئاسية الأمريكية (نيكسون وهمفري).
- نشرت صحيفة "الرائد" مقالاً في عددها الصادر يوم ١٩٦٨/٩/٢٦ دعت فيه إلى الدخول في حربٍ مع إسرائيل فوراً.
- كما نشرت صحيفة "العلم" الرسمية في عددها الصادر يوم ١٩٦٨/١٠/٩ مقابلات صحفية مع الصحفي النيجيري البارز (Edmola Thomas) ونقلت على لسانه انتقادات لاذعة لإسرائيل وللصهيونية.
- كما كان من بين آخر ما غطته الصحافة الليبية خلال العهد الملكي بشأن القضية الفلسطينية حريق المسجد الأقصى الذي نفذه المتطرفون اليهود يوم ١٩٦٩/٨/٢١، فقد خصصت الصحف الصادرة يوم ١٩٦٩/٨/٢٨ صفحاتها الأولى وبالبنط العريض للبرقيات المتبادلة بين ولي العهد (نائب الملك) والملك حسين عاهل الأردن، كما تناولت في بقية صفحاتها تداعيات الحادث وردود الفعل له على امتداد العالم الإسلامي.^{٧٠}
- وفي الواقع فإن تلك المقالات والتعليقات الصحفية لم تكن إلا تعبيراً صادقاً عما كان يجيش في صدور المواطنين الليبيين

٧٠ راجع البرقية المرسلة من السفارة الأمريكية إلى واشنطن رقم (٣٧٠) المؤرخة في ١٩٦٩/٨/٢٨. الملف (Pol 27 ARAB- ISR).

باختلاف فئاتهم تجاه القضية الفلسطينية وتجاه إسرائيل والصهيونية وحلفائها، وليس أدلّ على ذلك من خروج الليبيين في المظاهرات وتنظيمهم للإضرابات وعقدتهم للاجتماعات الحاشدة في شتى المناسبات الوطنية والقومية تعبيراً عن هذه الأحاسيس والمشاعر.

هل قررت إسرائيل تسوية حساباتها مع النظام الملكي في ليبيا؟!

إننا لا نشك في أن إسرائيل قد أخذت علماً بكافة هذه الوقائع والأحداث والمواقف والسياسات التي اتخذها النظام الملكي، سواء بحق الطائفة اليهودية في ليبيا أو بحق الدولة العبرية، وفقاً لقراءتها الخاصة بها.

فهل قرّرت إسرائيل، في أعقاب خروجها من حرب الأيام الستة مزهوة بانتصارها الباهر على الدول العربية، أنه قد آن الأوان لتسوية بعض حساباتها المعلقة والمؤجلة في المنطقة، ومن بينها حساباتها مع النظام الملكي في ليبيا؟!

وقبل أن نترك القارئ مع هذا التساؤل، الذي لا نحسب أن لدينا إجابة قاطعة وجازمة بشأنه، نودّ أن نذكر بالملاحظات التالية:

أ- إن أمر "ليبيا" من وجهة النظر الإسرائيلية ليس مجرد تسوية "حسابات معلقة" مع النظام الملكي فيها، ولكنه يتمازج مع نبوءات توراتية^{٧١} تنذرنا بالشؤم، وينبغي عليها الحيلولة دون تحققها، ومع قراءة خاصة للتاريخ مفادها "أنه باستثناء بلاد ما بين النهرين لا يوجد بلد لعب دوراً هاماً في تاريخ اليهود مثل ما لعبته برقة"، ومع مطاعم قديمة خلاصتها "أن هذه البلاد (ليبيا) ما زالت تنتظر (عودة) سكانها الأصليين اليهود الأبطال".

- ب- إن الوثائق السريّة للخارجية الأمريكية تكشف الحقائق الآتية: ٧٢
- ١- أن رئيس الوزراء الإسرائيلي بعث في ١٩٥٨/٧/٢٤ بخطاب إلى الرئيس الأمريكي إيزنهاور طرح فيه فكرة اعتماد أمريكا على إسرائيل كقوة عسكرية أو بوليسية في المنطقة قادرة على التدخل السريع لحماية مصالح أمريكا والدول الحليفة لها.
 - ٢- أن الرئيس ليندون جونسون ذكر خلال حديث جرى في مكتبه بتاريخ ١٩٦٤/٦/١ أنه: " وراء إسرائيل بالكامل (Foursquare behind Israel) في جميع المسائل المتعلقة بمصالحها الأمنية الحيوية، كما هو تماماً في جنوب شرق آسيا (فيتنام)، وسوف نكون دائماً حيث تكون حاجتهم إلينا " .
 - ٣- أن مؤسسات الإدارة الأمريكية جميعها كانت توافق الرئيس الأمريكي على الخيار الإسرائيلي الذي استقرّ عليه (إطلاق حرية العمل الإسرائيلي في المنطقة (To Unleash Israel)) وأن " شركات البترول " كانت من بين من تحمّس لهذا الخيار .
 - ٤- أن السياسة الأمريكية بدأت عام ١٩٦٦ تدخل في مرحلة نشطة جداً في آسيا وإفريقيا، وأن وكالة المخابرات المركزية تلقت تعليمات من الرئيس جونسون باتباع سياسة هجومية في كل مكان، وأن أمريكا قرّرت أسلوب الاعتماد على طرف محلي يساعدونه بكلّ الوسائل الظاهرة والخفية حتى يحقق لهم بالوكالة ما يطلبونه لأنفسهم (راجع ما قاله لعبد الناصر كل من السيّد ذو الفقار علي بوتو في ١٩٦٦/٧/٢٠ والمستر يوجين بلاك رئيس البنك الدولي يوم ١٩٦٦/١٢/١ في كتاب محمد حسنين هيكل السابق) .
 - ٥- إن التعاون والتنسيق بين أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية قد بلغا ذروتها خلال فترة رئاسة الرئيس الأمريكي جونسون (قبل

٧٢ راجع محمد حسنين هيكل، " حرب الثلاثين سنة - الانفجار "، مصدر سابق، ص ٣٠٣، ٣٣١، ٣٥٩، ٤٨٧، ٤٩١.

وبعد عام ١٩٦٧ وما تلاه، وخاصة مع وجود ريتشارد هيلمز (منذ منتصف عام ١٩٦٦) على رأس وكالة المخابرات المركزية (كان في السابق مسؤولاً عن قسم العمليات الخاصة (السرية) في الوكالة ثم مديراً عاماً لها) ومع وجود "جيمس إنجلتون" في مركز رئيس العمليات الخاصة بالوكالة (كان معروفاً بأنه من أنصار فكرة الاعتماد على إسرائيل كشرطي محلي في المنطقة واستخدامها في إعادة ترتيب أوضاع الشرق الأوسط، وكان القوة وراء برنامج إسرائيل النووي ووراء برنامج الصواريخ الإسرائيلية، كما أتاح لإسرائيل خلال حرب ١٩٦٧ كافة موارد المعلومات التي كانت تحت تصرف المخابرات المركزية، كما قام خلال تلك الحرب - بالتعاون مع إسرائيل - بإعداد قائمة جاهزة بأسماء مائة وأربعين طياراً من الولايات المتحدة وجنوب إفريقيا وعدد من الدول الأوربية ليكونوا جاهزين ضمن السلاح الجوي الإسرائيلي إذا ما نشأت ظروف أرغمت إسرائيل على شنّ الحرب).^{٧٣}

٦- إن إسرائيل لم تكثر أثناء حرب الأيام الستة بكل تحالفاتها وارتباطاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقامت في اليوم الرابع من الحرب، من أجل تحقيق مصلحتها العسكرية والإستراتيجية الخاصة، ووفقاً لحساباتها هي، بتدمير وإغراق سفينة التجسس الأمريكية "ليبرتي" بكل ما ومن عليها، وهو الحادث الذي أدى إلى مقتل (٣١) جندياً أمريكياً وجرح (٥٤) آخرين. وقد "استخلص القادة الإسرائيليون من هذا الحادث أنهم مهما فعلوا فإن شيئاً لن يثير الأمريكيين إلى حدّ حملهم على الانتقام، وإذا كان القادة الأمريكيون لا تتوفر لديهم الشجاعة لمعاقبة "إسرائيل" على

٧٣ راجع كتاب "الانحياز" تأليف ستيفن جرين، راجع أيضاً "لعبة الاستخبارات الدولية: الصراع الخفي في عالم التجسس" تأليف نايجل ويست (دار الحمراء - بيروت، ١٩٩١) ص ١٥٨ - ١٦٠.

قتل المواطنين الأمريكيين علناً، فإنه يبدو من الواضح بمكان أن أصدقاءهم الأمريكيين سوف يتسامحون معهم أمام أي شيء يفعلونه " ٧٤.

٧- إن إسرائيل خرجت من حرب الأيام الستة (يونيو ١٩٦٧) في قمة الزهو والانتشاء بالنصر الذي حققته، ممّا جعل رئيس وزرائها " ليفي إشكول " يصرّح يوم ١٢/٦/١٩٦٧ قائلاً: " لقد كان هناك من ينظرون إلينا كتابع صغير للولايات المتحدة، وهؤلاء اضطروا لتغيير فكرهم الآن . فقد وجدوا أن إسرائيل أصبحت لأول مرة شريكاً كاملاً للولايات المتحدة، وشريكاً متكافئاً، وشريكاً كبيراً أيضاً " ٧٥.

٨- أن الرئيس الأمريكي نيكسون (الذي وقع في عهده انقلاب سبتمبر ١٩٦٩ والذي قال عنه هنري كيسنجر في مذكراته إنه " كان على قناعة بأن معظم قادة الطائفة اليهودية (الأمريكية) عارضوه مدة عمله في السياسة، وكان يجد متعة في أن يقول لمعاونيه وزائريه إن اللوبي اليهودي ليس له عليه أي نفوذ ") هذا الرئيس عندما وجد نفسه غير قادر على تعبئة الأكثرية الصامتة (٦٠٪ من الشعب الأمريكي) بالشكل الذي يرغب فيه، شعر أنه مضطر إلى استرضاء القوى المؤيدة لإسرائيل، وهكذا أصبح في النهاية أكثر إنعاماً على إسرائيل من أي رئيس سبقه. " ٧٦.

٧٤ جورج د. بول و دوغلاس د. بول " أمريكا وإسرائيل: علاقة حميمة " ترجمة محمد زكريا إسماعيل (مكتبة بيسان، بيروت، ١٩٩٤) ص ٦٥.

٧٥ " الانفجار " مصدر سابق، ص ٧٦٩.

٧٦ " أمريكا وإسرائيل: علاقة حميمة " مصدر سابق، ص ٧٥.

العمل الانتقامي الإسرائيلي المبني والاطمئنان الزائف لدى النظام الملكي إزاءه!

وردت في التقرير السري رقم (A-566) الذي بعثت به السفارة الأمريكية في طرابلس بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٢ بعنوان (Surge in Fatah Activities)، عبارة هي ذات أهمية في هذا المقام، ومفاد هذه العبارة "أن أحد الأسباب التي جعلت النظام الملكي يندفع في تأييده للعمل الفدائي الذي كانت تجسده حركة "فتح" هو اطمئنان ذلك النظام لعدم قيام إسرائيل بأي عمل انتقامي ضده".

إذن ففكرة العمل الانتقامي الإسرائيلي و"استحقاق" النظام الملكي لمثل ذلك العمل كانت واردة لدى رجال السفارة الأمريكية في ليبيا وبالأخص لدى معد ذلك التقرير، كما أن القيام بمثل هذا العمل ليس جديداً ولا غريباً على إسرائيل وسلوكها وممارساتها في المنطقة، وبخاصة بعد انتصارها الباهر في حرب الأيام الستة، ولكننا نعتقد أن الذي حال دون إسرائيل والإقدام على عمل عسكري انتقامي سريع ضد النظام الملكي في ليبيا - كما تصوّره معد التقرير - ليس هو افتقار إسرائيل للقدرة العسكرية، ولا وجود القواعد العسكرية البريطانية والأمريكية. فقد رأينا أن إسرائيل لم تأبه، في سبيل تحقيق أهدافها العسكرية والسياسية، بكل علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تتردد في ضرب وتدمير حتى سفينة المخابرات الأمريكية

"ليبرتي" في اليوم الرابع لحرب يونيو عن عمدٍ وسبق إصرار، دون أن يكون للحكومة الأمريكية أي رد فعل مناسب بهذا الخصوص.

إننا نعتقد أن السبب الذي منع إسرائيل من أن تقوم بأي عمل انتقامي عسكري طائش وسريع ضدّ النظام الملكي ربما يكمن في حقيقة أخرى، وهي أن إسرائيل كانت تفكر في شيء أكبر من ذلك وأبعد أثراً... كانت " تفكر وتخطط لعمل":

- يتناسب ورؤيتها الجديدة لإستراتيجيتها الأمنية في ظل انتصارها الذي حققته في حرب ١٩٦٧ والتي تمتدّ إلى ما وراء دول المواجهة/ الطوق ليشمل باكستان^{٧٧} شرقاً وليبيا ودول المغرب العربي غرباً.

- ويُبعد شبح " النبوءة التوراتية " المخيف المزعج .

- ويحمل لمسة من تحقيق الأطماع والأحلام التاريخية التي تكلم عنها " ناحوم سلوش " ، وهي عودة أبناء ليبيا اليهود الأبطال إليها .

- كما يحقق معنى "العقاب والانتقام" المطلوب الذي تحدّث عنه تقرير السفارة الأمريكية الآنف الذكر .

إنه "عمل" يتوافر لدى إسرائيل كافة أسباب ومؤهلات إنجازه، كما تمتلك مقوّمات الإقدام عليه وتنفيذه.. ولم يكن ذلك العمل سوى "احتلال ليبيا" عن طريق "انقلاب عسكري".

٧٧ ألقى دافيد بن غوريون، أول رئيس وزراء لإسرائيل، محاضرة في جامعة السوربون بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ كان مما جاء فيها "على الصهيونية العالمية ألا يساورها أدنى شك بالنسبة إلى باكستان في أنها في الواقع خصمنا الحقيقي والأصلي من الوجهة الأيدولوجية. إن إرث باكستان الفكري والقومي وقوتها العسكرية وظروفها قد تصبح سبب شقائنا في أي وقت من الأوقات، وعلينا أن نفكر بإيجاد حل ". مصطفى حلمي "نظام الخلافة في الفكر الإسلامي" (دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ ومكان النشر).

إننا نحسب أن إسرائيل كانت تملك كافة المؤهلات والمقومات اللازمة للقيام بذلك العمل.

- ف "أرماندهامر" المعروف بصلاته القوية بالقادة الإسرائيليين حقق حضوراً سريعاً ومؤثراً على أعلى المستويات السياسية والعسكرية في ليبيا (مع الملك مباشرة ومع الأخوين الشلحي ومع وليّ العهد عبر السيّد الطاهر العقبي)، ناهيك عن عددٍ آخر من كبار مسؤولي شركات البترول مثل "ماراثون" Marathon و "كونوكو" Conoco العاملة في ليبيا الذين عرفوا بصلاتهم الخاصة بإسرائيل. (من المصادفات العجيبة أن يصل السفير الأمريكي نيوسوم خلال الرحلة الصحراوية الأخيرة التي قام بها في الجنوب الليبي إلى أحد معسكرات شركة أوكسيدنتال، وهي الرحلة التي تردّد أنه التقى خلالها بالملازم القذافي في مطلع عام ١٩٦٩)^{٧٨}.

- كما لا يوجد شك، أن عيون إسرائيل وأجهزة مخابراتها كانت منتشرة في ليبيا الملكية (كان العهد عاجزاً حتى عن مراقبة العناصر الليبية التي كانت تخطط في وضح النهار للإطاحة بالنظام) عبر شركات البترول العاملة فيها، وغيرها من المؤسسات والشركات التجارية، وفي القاعدتين البريطانية والأمريكية وفي بعثتهما العسكريتين بالجيش الليبي، وفي السفارات الأجنبية المختلفة، وعبر عناصر القوة العاملة المستجلبة من كلّ مكان في العالم.

- كما أن التنسيق والتعاون بين أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية كان في تلك الفترة على أوجه وفي أقوى صورته.

إن الأيام حبلت بكثير من الحقائق التي ما تزال دفينّة في رحمها، والمستقبل وحده هو الذي سيؤكد أو ينفي هذه الحقائق، لتعرف الشعوب العربية وشعوب العالم أجمع أي رجل هذا الذي وقعت ليبيا بين براثنه،

فامتصّ خيراتها، وضيّع مستقبلها، وشرّد أبناءها، وحرّمها مما استمتعت به كل شعوب العالم التي حباها الله ما حبى ليبيا من ثروات طبيعية كانت كافية لأن تضع هذا البلد الفتّي، الذي لم يتح له أن يستمتع باستقلاله وحرّيته الوليدين، في مقدمة الدول المتطوّرة في الشرق الأوسط، وفي العالم أجمع.

ملحق الصور



داخل بيت أسرة ناحوم وهم من التجار المعروفين في طرابلس (عام ١٨٩٢)



يهود من طرابلس في اجتماع يوم السبت (عام ١٩٢٥)



عائلة يهودية مع جيرانها المسلمين عند مدخل منزلهم في إحدى القرى الليبية (عام ١٩٣٦)



أسرة يهودية من طرابلس تمثل اندماج اليهود في المجتمع الليبي

(Cultural Centre of Jews of Libya, Tel-Aviv; Beth Hatefutsoth- Photo Archive)



نساء من يهود طرابلس يستقبلن الجيش البريطاني الثامن عند دخوله الحي اليهودي (إبريل ١٩٤٣)

(Photo by Dr. Nachum T. Gidal; Beth Hatefutsoth- Photo Archive)



جانب من الحي اليهودي في طرابلس (عام ١٩٤٣)

(Photo by Dr. Nachum T. Gidal; Beth Hatefutsoth- Photo Archive)



اجتماع لجنة المصالحة البريطانية اليهودية العربية بعد صدامات ١٩٤٥

ANNO III. N. 7

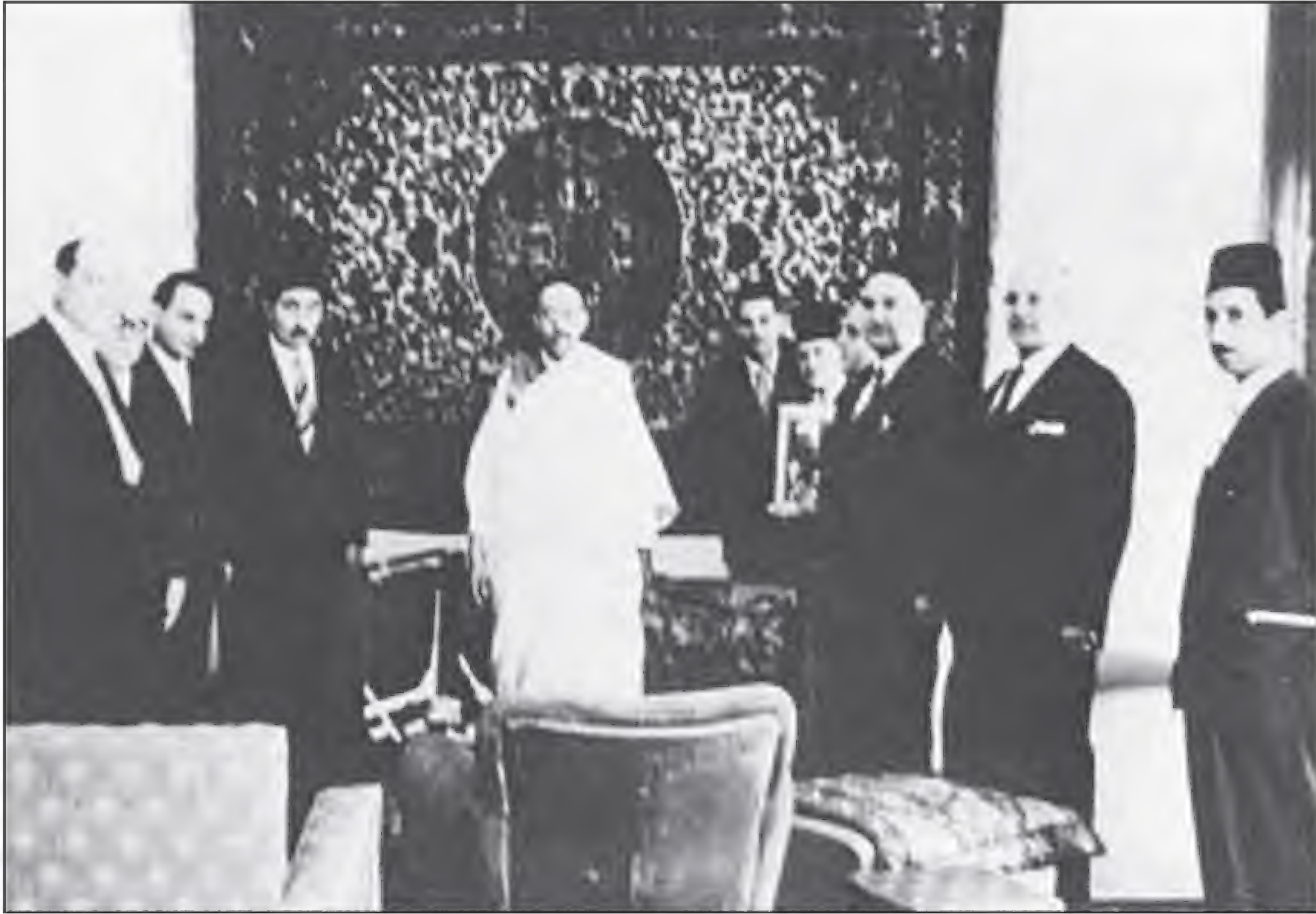
PREZZO M.A.L. 10

HA IENU

ORGANO HENE AKIVA E RACHAD DELLA LIBIA • VIA ARBAA ARSAAT 29 • P.O.B. 310 TRIPOLI

A tutti gli Ebrei di Libia
BERACHA' VESHALOM

واحدة من آخر الصحف اليهودية الصادرة في ليبيا عام ١٩٥١



الأمير إدريس يستقبل الناطقين باسم الجالية اليهودية عشية إعلان الاستقلال
وتتويجه ملكاً على ليبيا عام ١٩٥١



رئيس الوزراء أحمد المنتصر يستقبل ممثلي الجالية اليهودية
وممثل الوكالة اليهودية باروخ دفداني عام ١٩٥١



طفلة يهودية ليبية



حسين مازق رئيس وزراء ليبيا إبان حرب يونيو ١٩٦٧



ونيس القذافي آخر رئيس حكومات العهد الملكي



مفتاح عريقيب رئيس مجلس النواب

يظهر أرمند هامر على يسار الملك إدريس، وعلى يمينه عبد الحميد البكوش رئيس الوزراء، وذلك عند افتتاح خط أنابيب شركة أوكسيدنتال عام ١٩٦٨





في لوس أنجلوس أرمند هامر وعلى يساره كمال زاده الوسيط الإيراني